المصابيح الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

...-...-...-...

لا حُرمة شرعية لقروض البنوك الربوية المعاصرة. لأن الله قال {فإن تبتم فلكم رءوس أموالكم} وأمّا هؤلاء فأوّلاً لا يتوبون بل يصرّون على ما هم عليه جزماً باتّاً فليس لهم لا رءوس أموالهم ولا بالتأكيد ما زاد على من الربا الذي فرضوه، وثانياً وهو الأهمّ فإن هؤلاء يُقرضون من الهواء وليس لهم رءوس أموال أصلاً فليس لهم شيء. وهذا أهون ما يستحقّونه، وإلا فلو أراد مُرّ الحق فالفرض في حقّهم هو {فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله}. كذلك قال الله {وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة} وهؤلاء لا يُنظرون أحداً أصلاً، بل ويزيدون العسير عسراً بوضع عقوبات مالية وأحياناً بنحو لا يعرفه المقترض ويرفعون النسبة الربوية ضدّه حتى يزداد دينه ولو تضاعف أضعافاً كثيرة. وأمّا ما يُسمّى بالبنوك "الإسلامية"، فمثلهم كمثل الذين قال الله فيهم "فباءوا بغضب على غضب" فالأول غضب الربا والثاني غضب التحريف والكذب على المسلمين وإظهار الإسلام كلعبة بيد أصحاب المال أمام غير المسلمين. فمَن اقترض منهم فبينه وبينهم حدود قانون بلده، ولا يُسبغ عليهم أي شرعية دينية بأي شكل ودرجة، فإن استطاع التخلّص من قرضهم بحيلة قانونية مقبولة في حدود قانون البلاد حتى لا يتعرّض لقهر الدولة فهو وذاك.

...

ما معنى {يحذركم الله نفسه} وهل لها علاقة بالتفكّر في ذات الله حيث يدعي البعض أن هذه العبارة القرآنية نهي عن التفكر في ذات الله، فهل يصح هذا الكلام؟ الجواب:

قال تعالى في آية {لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومَن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويُحذّركم الله نفسه وإلى الله المصير}

وقال بعدها بآية {يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد}

كلاهما يتعلّق بجزاء تولّي غير المؤمنين لغير التقية، وتحتمل الأولى أن يكون تعبيراً عن المصير في الدنيا لأن الثانية تتعلّق يقيناً بالمصير في الآخرة، فكأن الأولى أشارت إلى جزاء هذه الولاية في الدنيا والأخرى أشارت إلى جزاء العمل السيء عموماً في الآخرة. فالتحذير مما سيفعله الله بمتولّي الكافرين وعامل السيئات، وذلك بإظهار أثار ولايته وعمله له بنحو يعذّبه به. فالآية من حيث صلبها لا تدلّ على النهي عن التفكر في ذات الله، بل تدلّ على النهي عن

تولّي الكافرين من دون المؤمنين لغير التقية المحدودة وتبيّن عاقبة العمل السيء في الآخرة عموماً.

أمّا التفكّر في ذات الله تعالى، فبعموم معنى التفكر الذي هو إعمال العقل، فلابد من التفكر في ذات الله وإلا لما استطعنا أن نوقن بأن الله كذا وليس كذا، وكذلك لا نستطيع أن نجادل مَن يقولون في الله ما هو باطل. وإلا لماذا جاءت آيات فيها نوع من الاستدلالات الفكرية مثل "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" فكيف نربط بين تعدد الآلهة والفساد؟ وما أدرانا إن لم نتفكّر وتركنا للخيال فقط التحكم في المسائل من أنه توجد آلهة كثيرة لكنهم في حالة وئام واتفاق معا وليسوا كالبشر الذين يتنازعون وينشأ الفساد من تعدد حكامهم وأشخاصهم بسبب فقرهم الذاتي إلى ما يتنازعون عليه، لكن في حالة الآلهة فإذا تصورنا الإله بأنه الذي له ذات باقية مكتفية بذاتها فنستطيع تخيّل تعدد الآلهة بدون نشوء الفساد فيها، وهلمّ جرّاً.

لكن إن كان المقصود بالتفكّر اتخاذ صورة محدودة عن الله بحكم كون الفكر عادة يتعلّق بالخلق والخلق محدود فتكون الأفكار محدودة كذلك، فالنهي عن التفكر في ذات الله معناه إذن النهي عن تحديد الله في عقيدة مخصوصة ذات كيفية محدودة لأنك بذلك ستكفر بما سوى ذلك من التجليات الإلهية، فالنهي عن التفكر هو منع للكفر، أي حماية للقلب من ستر وتغطية الحقيقة الإلهية حين تتجلّى في الظواهر والبواطن مطلقاً. ومن هذا المُنطلق أخذ بعض العلماء بالله جملة "يحذركم الله نفسه" حتى تكون شاهداً على النهي عن التفكر في ذات الله، على أساس الربط بين التعاليم وبين العبارات القرآنية المباركة واحتمالاتها الواسعة في الدلالة على الحقائق والمعاني.

وعلى هذا تأويل الآيتين.

قال تعالى {لا يتخذ المؤمنون الكافرين} يعني القلوب المعاينة لله في كل تجلياته، لا تتخذ الأفكار المحدودة الساترة للحضور الإلهي الأحدي، {أولياء من دون المؤمنين} لا تجعل العين الساترة للحق عيناً لها تنظر بها. {ومَن يفعل ذلك فليس من الله في شيء} لأنه سيرى الشيء منفصلاً عن الله مغايراً له فلا يكون له وجود في الحقيقة لأن "الله نور السموات والأرض" فما لم تر الله فلا شيء ليُرى. {إلا أن تتقوا منهم تقاة} يعني لأن لنا نفوساً وأجساماً، تضرّها وتؤذيها بعض الأشياء دون البعض الآخر، فلابد أن نتقي الأشياء المضرة لنفس والمؤذية للجسم ونرفضها مع يقيننا بأنها تجليات إلهية ومن مدد يد الله المبسوطة في العالمين، فليس ذلك كفراً بالله لكنه من وقاية النفس والجسم، فالقلب يرى ويؤمن وإن كانت النفس تتقي والجسم يقي ذاته من بعض المجعولات الباطنة والمخلوقات الظاهرة. {ويحذركم الله نفسه} احذروا من إنكار وجود الله ونوره في الشيء الذي تتقوا منه نفسياً وجسمياً وكذلك احذروا من

النظر إلى الوجود بالعين الكافرة بالإطلاق الإلهي والهوية الأحدية المتجلية في كل شيء. {وإلى الله المصير} حجّة عقلية لما سبق، لأن كون المصير إلى الله يدل على أن المبدأ من الله لقوله "منها خلقناكم وفيها نعيدكم" فلا مصير إلا للمبدأ "هو يُبدئ ويعيد"، فلمّا كان المبدأ والمصير هو الله فدلّ على أنه ليس ثمّة إلا الله، فيكون كل شيء مظهراً للأمر الإلهي الحق. كذلك "كل شيء هالك إلا وجهه" فالمصير إلى الله فإن لم تر الله الآن في الموجودات فلن تراه غداً أيضاً لأن العالَم هو العالَم سواء كان دنيا أو آخرة، فاحذر من الغفلة عنه اليوم حتى لا تكون من أهل الغفلة عنه غداً لقوله "ومَن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً"، والدنيا فانية لكن الآخرة باقية فاحذر أن تجهله اليوم فإن عذاب الجهل أبدي والعياذ بالله.

قال تعالى {يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً} عملك النفسي الآن حين تبصر نور الله في كل شيء وتسعى إلى العبور من المظاهر إلى الظاهر ومن البواطن إلى الباطن سبحانه، وتؤول كل شيء كآية لله ومدد من يد الله وكلام الله لك من وراء حجاب، هذا العمل التأويلي والتفسيري هو من الخير لأنه من الحكمة التي تُحكم الصلة بين الخالق والمخلوق "ومَن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً" خير كثير لأن الظواهر والبواطن كثيرة لا نهاية لها "لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي". فمَن شاهد حضوره تعالى اليوم وجد نور ذلك محضراً له غداً. {وما عملت من سوء} رؤية الموجودات بانفصال عن الله هو جوهر السوء والظلمة والقبح لأنه عدمي وكفري، {تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً} لم يقل "تود لو أنه انعدم" أو "غاب" أو ما شاكل بل اكتفوا بتمنّي أن يكون بينها وبينه أمداً بعيداً لأن الآخرة دار حضور وشهود فلا تغيب الآثار إلا إن كفّر الله سيئات المؤمنين أو بدّلها حسنات وكلاهما فعل الله ورحمته لكن ما سوى ذلك فكلّه حاضر كما هو، {ويحذركم الله نفسه} يحذركم أن تجهلوا حضور نفسه لأن ذلك سيكون شديد الإيلام لنفوسكم غداً بحكم كون النفس لا ترضى إلا بصلتها بربّها "ارجعي إلى ربك" فإذا جُعل بينها وبينه الحجاب وقعت في أسوأ عذاب "عن ربهم يومئذ لمحجوبون" هؤلاء الذين "ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون". {والله رءوف بالعباد} وليس بالعبيد، بل العباد الذين أسلموا وجوههم له وأقاموها عند كل مظهر في العالَم لله تعالى، سيرأف بهم في الآخرة حتى لا يجدون مظهراً مؤذياً لأبدانهم أو مضرّاً بنفوسهم مطلقاً فلا يحتاجون إلى الصبر والمصابرة على قبول المظاهر قلباً مع مقاومتها ظاهراً وقاية لنفوسهم وأبدانهم.

...

قال النبي صلى الله عليه وسلم، كما في صحيح مسلم، {لا تُسافروا بالقرآن، فإني لا آمن أن يناله العدو}. وفي رواية {فإني أخاف} وفي أخرى {مخافة أن يناله العدو}.

أقول: القرآن إما أن يكون في السطور أو في الصدور، إي إما يُحفَظ بالكتابة وإما في الذاكرة. النهي هنا لا يتعلّق قطعاً بالقرآن المحفوظ بالذاكرة والصدور ولا أظن أن أحداً يقول بغير ذلك، لأن النبي لو أراد ذلك لنهى كل مَن في جوفه شيء من القرءان وفي ذاكرته القرآن من أن يسافر إلى أرض العدو وهذا ظاهر البطلان عن الجميع. فلا يبقى إلا أن النهي كان عن القرآن المكتوب في السطور. لكن النبي لم يحدد ذلك، بل قال {لا تسافروا بالقرآن} وفي رواية عن ابن عمر أن {رسول الله نهى أن يُسافَر بالقرآن إلى أرض العدو} فعبّر باسم القرآن مجرداً عن القرآن المكتوب في السطور المخطوط في الكتب أو مواد الكتابة أيا كانت في أيامهم. بالتالي، إطلاق اسم القرآن وقصد القرآن المكتوب كان أمراً شائعاً حتى جاء النهي من النبي على هذا الأساس، يعني كان القرآن مكتوباً وعند الأمّة إلى حد أن النبي كان ينهى مطلقاً، ولو كان القرآن غير مكتوب مطلقاً لبطل هذا المعنى ولكان النهي عنه عبثياً، ولو كان القرآن مكتوباً عند قلّة من الناس لجاء النهي لهم خصوصاً، لكن لما جاء النهي بنحو غير مقيّد {لا تسافروا بالقرآن} دلّ على شيوع كتابته إلى حد كبير.

إلا أن في الرواية مبحثاً آخراً مهماً. وهو سؤال: لماذا؟ فسّر النبي ذلك بقوله {فإني لا آمن أن يناله العدو}. نعم، لكن ما معنى ذلك بالضبط، لأن العدو كان يعرف القرآن بدليل أن النبي كان يبلغهم إياه ويقرأه عليهم ويجهر به وفي القرءان أوامر كثيرة للنبي بأن يبلغه لهم وينذرهم به "لأنذركم به ومَن بلغ" وغيرها كثير، فالعدو والمقصود هنا بشكل رئيس قريش وغيرهم من الأعداء، كانوا يسمعون القرآن ويبلغهم ويحاججهم ويحاججون النبي على أساس ما سمعوه منه. فما وجه الخوف من أن ينالوه إذن؟

إن قيل: خوف أن يدنسوه. قلنا: وأي شيء أسهل من أن يأتوا بشخص ليكتب القرآن الذي بلغهم حتى يدنسوا الصحف التي كتبوه فيها ! ثم إن كان هذا هو المقصود، فالأمّة كلّها عصاة وأجمعت على العصيان حيث صار القرآن في جميع أنحاء الأرض يناله كل كافر يريد أن يحرق المصحف أو يدنسه أو يفعل به ما يشاء بل حتى أن يجعله غرضا للسهام ويمزقه كما فعل بعض ملوك بني أمية "المسلمين" كما يقال. هذا خوف غير معقول، وما كان النبي ليخاف من مثل هذا.

لاحظ الفرق بين قول النبي {لا تسافروا بالقرآن} وبين طريقة رواية ابن عمر للمعنى "أن رسول الله نهى أن يُسافَر بالقرآن"، عبارة النبي موجهة لأناس بأعيانهم، {لا تسافروا} فهو يخاطب المسلمين من أصحابه، لكن العبارة الأخرى "نهى أن يُسافر" تفتح الأمر بنحو أوسع بكثير من الأخرى. ما الفرق؟

الجواب: كان القرءان يُكتَب بحضرة النبي ويؤلف عنده وتُكتَب نُسخ أصحابه بنحو موثّق ومعتبر عنده وعند مَن أخذ عنه مباشرة. فهذه النسخ المكتوبة من القرآن ليست كأي نسخة أخرى كتبها أي عربي في مشارق الأرض ومغاربها مما سمعه. فجاء النهي من النبي لأصحابه المشهورين بالأخصّ ومَن يعلم العدو القرشي ومن تبعه أن نسخته من القرآن مصدّقة من النبي، لأنه خاف أن ينالوا هذه النسخ فيضعوا فيها شيئاً أو يحذفوا منها شيئاً ثم يقولوا للعرب "انظروا هذا قرآن محمد أخذناه من فلان صاحبه فانظروا ما الذي فيه" فتقع البلبلة بسبب ذلك. وذلك لأن القرآن لم يشتهر بعد على مستوى العرب جميعاً بسبب وجود {العدو} القرشي بعد وكل ما تسبب به من حجب العرب عن تلقي القرآن كما هو حتى يبلغ حد الشهرة والاستفاضة التامّة بحيث لا يستطيع أحد أن يضيف إليه أو يحذف منه بدون أن يشتهر أمره. بمعنى أن القرءان قبل الشهرة التامة كان قابلاً لمثل ذلك العبث في نسخه المعتبرة من العدو، فجاء النهي. لكن بعد الشهرة التامة له، زال النهي بشكل عام لزوال سبب الخوف. ومن هنا الأمّة ليست عاصية الآن ولا عبر القرون بسبب مسافرتها بالقرآن إلى أرض أي عدو، ما دامت علّة الخوف النبوي غير متحققة.

فالرواية بذاتها دليل على كتابة القرءان في عهد النبي كتابة كثيرة معتبرة، والرواية بما تثيره من إشكال وجوابنا عليه تدل على وجود نسخ معتبرة يترقب العدو نيلها لإشاعة أكاذيب حول القرآن اعتماداً على كونها نسخ مصدّقة نبوياً. ومن هنا قال النبي {لا تسافروا بالقرآن} فعبّر عنه {بالقرآن} فجزم بأنه القرآن، فالنسخة التي يصدق عليها هذا الوصف النبوي هي وحدها المنهي عنها، ومثل هذه لا تكون كذلك ويشهد النبي لها بأنها {القرآن} إلا إن كانت مكتوبة عنده ومصدقة عنده. يشهد لهذا المعنى قول زيد بن ثابت كاتب نسخة أبي بكر {كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرِّقا ع}.

...

النبي هو الذي رتّب ترتيب القرآن الذي بأيدينا اليوم.

فجبريل كان يعرض عليه القرآن، وعرضه كان إما مرتّباً وإما فوضوياً، ولا فوضى في الإسلام ولا في القرءان ولا في ملك الله تعالى، فكان عرضه مرتّباً ولا داعي لافتراض العكس ولا دليل عليه، فالأصل الترتيب والنظام في كل شيء في هذا الدين "صنع الله الذي أتقن كل شيء" "الذي أحسن كل شيء خلقه"، ولا معنى لأن يعرضه عليه غير مرتّب بالنحو المقبول. فأخذ الترتيب منه.

يشهد لهذا المعنى قول النبي المروي في مسند أحمد عن صحابي والرواية أقلّ ما يقال أن إسنادها حسن، وفيها قول النبي {أُعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور

المئين، وأُعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضلِّت بالمفصّل}، فهذا الترتيب الإجمالي من السبع الطوال إلى السور التي تقرب من مائة آية ثم إلى ما دونها إلى السور ذوات الفواصل الكثيرة. ثم قال النبي في الرواية الصحيحة المشهورة {مَن لم يقرأ بفاتحة الكتاب} فالكتاب إذن له فاتحة هي سورة الحمد. ثم قال النبي عن الحال المرتحل الذي يضرب من أول القرءان إلى آخره وكلما حلّ ارتحل، فجعل للقرءان أولاً وآخراً مضبوطاً معروفاً. فإذا جمعت كل هذا خرج لك ترتيب المصحف كما نعرفه اليوم، وهو الفاتحة ثم السبع الطوال ثم ذوات المائة ثم ما دونها ثم ذوات الفواصل الكثيرة. هذا الترتيب الإجمالي، ويشهد للأصل العام الذي يدل على أن الترتيب معروف مأخوذ من النبي. فلا داعي لافتراض غير ذلك في تفاصيل السور بعد ذلك وتقديمها وتأخيرها، لأنه خلاف الأصل، وافتراض دخول الهوى في أي شيء قرآني وديني أو دخول الفوضى والصدف هو أيضاً خلاف الأصل. وتكفي هذه الشواهد المفصلة نسبياً للقطع بالتفاصيل غير المذكورة. الأصول والشواهد المفصلة نسبياً شاهدان عدلان.

...

أصل روائي لتأويل باطني:

حين ذكرنا تأويلاً لآيات الإنفاق بأنها تدلّ على القرءان ومعانيه، قد يظن البعض أن هذا تأويلاً لا أصل له في الأحاديث النبوية المروية، لكن الحق أنه بإشارة من النبي ذاته حسب الروايات المعتبرة، كما جاء في الأصول التسعة السنّية قول النبي {الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة والمسرّ بالقرآن كالمُسرّ بالصدقة}، فكما ترى جعل النبي الصدقة مَثَلاً للقرءان. بالتالي حين تقرأ آية كقوله تعالى {إن تُبدوا الصدقات فنعمّا هي وإن تُخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم} فإنها من حيث التأويل تشير إلى صدقات الآيات، وبهذا المفتاح تعرف أيضاً أن {الفقراء} في الآية هم الفقراء إلى القرءان وعلومه وحكمه. وعلى هذا النمط تُفتَح باقي الآيات فانظر مافيها من الكنوز بإذن الله.

كذلك مثلاً تأويل آيات الأنعام بأنها تُشير إلى القرءان. في الرواية الصحيحة المشهورة أن النبي قال {تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشدّ تفلّتاً من الإبل في عُقُلها} وكذلك في رواية أخرى مشهورة أن النبي قال لهم بعد ضرب مَثل ظاهري {أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير من ناقتين وثلاث خير من ثلاث وأربع خير من أربع ومن أعدادهن من الإبل}. وهكذا تجد روايات أخرى تستعمل هذا الصنف من الأمثال للقرءان.

من الشائع قول البعض بأن الناس اشتغلوا بالأحاديث النبوية وتركوا القرءان، أما ما وجدته بفضل الله هو أن هؤلاء لا اشتغلوا بالأحاديث الإلهية ولا بالأحاديث النبوية وما يتبعها،

فإنه يستحيل على اشتغال إنسان بالأحاديث النبوية كما هي موجودة بين أيدينا اليوم إلا ولابد أن يرجع إلى القرءان ظاهراً وباطناً، وعلى التحقيق يستحيل فهم الأحاديث النبوية الصحيحة والمأثور عن السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من دون فهم القرءان فهماً عميقاً فإنه لم يكن لهم كتاب غيره ولا مرجع سواه. المشكلة هي الإعراض عن العلم وأثر العلم، أقصد الإعراض عن القرءان وآثار القرءان في نفوس قرائه من الأولين والآخرين وعلى رأسهم خاتم النبيين عليه وعليهم الصلاة والسلام أجمعين.

...

وجود الجواب لا يعني جودة الجواب. وليست كل إجابة إصابة. فدقق وانظر لنفسك.

...

استمعت لملحد مشهور اليوم يقول بأن أكبر عائق أمام المعتقدين بالإله المسيحي (الذي يعلم كل شيء ويحبّ كل شيء، أي إله العلم والمحبة المطلقة) هو ألم الحيوانات. هذه المشكلة لا تتعلّق فقط بالإله المسيحي، لكن بالإله الإسلامي أيضاً، لأن القول بإله رحمن رحيم يعلم كل شيء وقدر على كل شيء أيضاً يقتضي الإجابة عن ذلك الإشكال.

خلاصة حجّته هي أن الناس يعانون من آلام ويتعرضون في أكثر حياتهم لأسباب الآلام ولابد أن يدفعوها عن أنفسهم كدفع الجوع بالأكل والفقر بالكسب ونحو ذلك. لكن الحيوانات يعيشون كل حياتهم تقريباً في عمق الألم والخطر المستمر. فهب أننا سلّمنا بوجود حرية الإرادة والحكمة من ابتلاء الإنسان بالآلام، فهذا لا ينفع في دفع إشكال آلام الحيوانات لأنه لا حرية إرادة لديها. ولا ينفعكم القول بأن الحيوانات لا تشعر بالألم مطلقاً، وإلا لجاز لنا حرق الكلاب والقطط للتسلية وهذا لا يقول به أحد حقاً بناء على أنها لا تشعر بالألم مطلقاً. ولا ينفعكم القول بأن ابتلاء الحيوانات مثل ابتلاء الإنسان أي أنه سيفيده في الآخرة ويتم تعويضه عن ألمه في الدنيا بنعيم عظيم في السماء، لأنه لا توجد جنّة للكلاب والحيوانات. وإن قلتم بأن افتراس السباع لبعض الحيوانات إنما هو لتنقية جنسها من الأمراض والضعاف وكذلك حتى يحافظوا على الدورة الطبيعية وحتى لا يكثر عددهم كثرة تؤدي إلى مجاعة، فهذا جواب قبيح لأن الإله قادر على خلق نظام لا يحتاج فيه إلى وجود مجاعة أصلاً ولا داعي فيه لتعرض حيوانات إلى الافتراس المؤلم لتحقيق ذلك كما أننا مثلاً ونحن بشر محدودين لا نرسل صواريخ لقتل الأمم التي يعاني أهلها من المجاعات كما في جنوب السودان بحجّة تقليل عددهم وتوفير الأكل لهم فبالأحرى أن لا يحتاج الإله إلى مثل ذلك وهو قادر على كل شيء. إذن آلام الحيوانات دليل على عدم وجود إله محبّة ورحمة يشمل هذا العالَم بعطفه وعنايته، مما يُبطل أساس هذه الأديان.

أقول: في هذه الحجّة من الثغرات الشيء الكثير. ويمكن إبطالها بسدّ أي ثغرة، ليس لمجرد سدّها بل بناء على الإيمان الصحيح الذي يتضمنه الدين المأثور عن النبي.

مثلاً، الاعتقاد بأن الحيوانات لا حرية إرادة لديها، هذا تصوّر عنده هو وعند كثير من أهل الأديان، وليس كل الدين وبالتأكيد ليس الدين الحق. ففي القرءان ليس فقط الحيوانات بل حتى السماء والأرض، أو ما يُمسّى "الجمادات"، لديها حرية إرادة، وهذا صريح في القرءان كله ويعلمه الغافل والعاقل على السواء. فمن ذلك قول الله {له أسلم مَن في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يُرجعون} إسلام وليس استسلام، فهو فعل إرادي، وكذلك قوله {طوعاً وكرهاً} يدل على وجود الإرادة المعتبرة وإلا فلا معنى للطواعية والكراهية كما قال نوح لقومه من الناس "أنلزمكموها وأنتم لها كارهون" فالبشر لا يُكره البشر لكن الله تعالى يفعل ما يشاء، ومن هنا قال للسماء والأرض {ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين}، بل قال حتى في جدار قصّة موسى {جداراً يريد أن ينقضّ} فأثبت له الإرادة، وأثبت العلم والصلاة لكل شيء {إن من شيء إلا يُسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم} {كُلّ قد علم صلاته وتسبيحه} فكل شيء لديه علم وله تسبيح وحمد وصلاة وهذه كلها أفعال ذوات عقل وإرادة. وهذا مشهود للجميع بالنظر إلى الحيوانات المشهورة بين الناس مثل الكلاب والقطط والقرود، فهي ليست "آلات ميكانيكية" كما يتخيّل الجهلة والذين ينكرون العيان والملموس، أقصد تجد فيهم نوعاً من العقل والعواطف والإرادة المختارة ويتعلّمون ويقبلون التدريب أو يرفضونه أحياناً.

يقول بأنه لا يمكن إنكار شعور الحيوانات بالألم، هذا صحيح، ومن المعلوم أن النبي قال مرّة لقوم أخذوا بيض دجاجة اشتكت له "مَن فجع هذه بأولادها" أو شكوى دابّة له بأن صاحبها يتعبها وأمثلة كثيرة في السنّة من هذا الباب. وفي القرءان كلام الهدهد مع سليمان وإثبات سليمان العذاب له "لأعذبنه عذاباً شديداً" مما يعني أنه يشعر بالألم وله فيه درجات أيضاً، وكذلك يعقل بشرط معرفه منطقه "عُلّمنا منطق الطير". فهذا القدر مقطوع به، نظرياً وعملياً ومن ذلك أمر النبي بإحسان ذبح الأنعام وإحداد الشفرة وما شابه من أحكام كلها تدور حول تخفيف الألم وتسريع القتل، وكذلك دخول امرأة النار في قطّة حبستها أو دخول البغي الجنّة في كلب سقته من العطش، فلو كانوا مثل الجمادات باعتقاد الغافلين لكان موت القطّة جوعاً وتخليص الكلب من العطش لا يستحق أدنى عقوبة كما أن حبس الحجر في صندوق وصبّ الماء على الصخر لا يقتضي عقوبة أو مثوبة. فهذا القدر مفروغ منه، ولا ينبغي لمؤمن بالله ورسوله وكتابه أن يكابر فيه دفعاً لحجج الملحدين، فلا تنقض حجج الملحدين بما ينقض ذات الدين.

ثغرة أخرى هي إنكاره وجود جنّة للكلاب والقطط، يعني جنّة للحيوانات. هذا أيضاً غير ضروري، بل باطل. ففي القرءان الرجعة للكل كما قال {له أسلم مَن في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يُرجعون} فأثبت الرجعة لكل مَن أسلم له وهم الكل فالرجعة للكل. وكذلك جاء في الروايات وفي كلام ابن عربي مثلاً في الفتوحات المكية أن بعض الحيوانات سيكون في الجنّة، فلا أقلّ هذا إثبات للبعض، فيبطل الإنكار المطلق لبعث الحيوانات. وفي رواية صحيحة قال النبي {لتؤدنّ الحقوق إلى أهلها حتى يُقتَصّ للشاة الجمّاء من الشاة القرناء بنطحها}، فهذا تصريح ببعث الحيوانات بل ومحاسبتها على عدوان بعضها على بعض، مما يُبطل حجّته بلا معقولية وجود الافتراس، فالمفترس معتدي وإذا كان النص نصّ على الاقتصاص على النطح فسيكون الاقتصاص على الذبح من باب أولى. وفي روايات آخر الزمان "وتأمن الشاة من الذئب" ومثل هذا المعنى في الكتب اليهودية واليسوعية. وفي هذا دليل على أن الأصل ليس افتراس الحيوان للحيوان، بل العيش على النباتات ولكل حيوان رزقه الأصلي من النبات. فإذا ثبتت العقوبة للحيوان المعتدي فقد ثبتت المثوبة أيضاً للحيوان السلمي. ثم أنا أقول لك بأني شهدت في الجنّة حيوانات، وهذا دليل شخصي حتى لا يظنّ أننا نقل كلاماً فقط لا نعرف له حقيقة، وشهدت هذا قبل سنوات من سماعي لهذه الحجّة فهي ليست وسيلة للردّ عليها، بل لعلها من أكثر من عشر سنوات بكثير.

أما قوله بأن الإله قادر على خلق نظام لا داعي فيه لوجود المجاعة ولا الافتراس، فهذا أيضاً حق. لكن الإله قادر أيضاً على خلق نظام أشدّ من هذا النظام في سوء المجاعات والافتراس. فالإله قادر على كل الممكنات والاحتمالات، فأيا كان العالَم الذي تتخيّله فيوجد فوقه في الحُسن وتحته في السوء ما لا نهاية له من الممكنات مثل سلسلة الأعداد الموجبة والسالبة لا نهاية لها. فوجود هذا النظام كما تراه الآن لا ينفي وجود الإله بل يثبت وجود إله أراد واختار هذا الاحتمال خصوصاً من دون بقية الاحتمالات اللامتناهية، وإذا قارنت هذا النظام بما تحته من السوء تبيّنت لك مدى رحمة الخالق. فإن قلت: لكن إذا قارنته بما فوقه في الحسن تبيّن لي مدى عدم رحمة الخالق، سأقول: ما فوقه في الحسن هو الدار الآخرة وقد خلقها الله ولذلك قال "للآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً" و "الآخرة خير وأبقى" و "للآخرة خير لك من الأولى". ففي الدنيا خُلق هذا الاحتمال لحكم كثيرة، ويمكن وجود ما هو أسوأ منه بكثير جداً، وما فوقه خُلق في الآخرة الأبدية، فهذا النظام الحالي فاني لكن النظام الأحسن منه باقي. هذا أوّلاً.

ثانياً، النظام الحالي ليس بالسوء الذي يصوّرونه، وإلا لكانت كل نظرة في الطبيعة أينما توجّهت هي مناظر مجازر قبيحة تشبه بل تزيد على أفلام الرعب، وليس الواقع كذلك، ولا حتى في حالات عدوان بعض الأسود على الحمر الوحشية مثلاً فإننا نستطيع تخيّل ما هو أسوأ

بكثير جداً من أخذ حمار أو اثنين في كل مشهد. كذلك في البيان الديني توجد علاقة ما بين فعل خليفة الله في الأرض أو الخلفاء وما بين نمط الحياة الطبيعية فقد قال الله "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس" لأن الناس هم خلفاء الله في الأرض فأعمالهم الظاهرة والباطنة تؤثر {في البر والبحر}، ومن هنا جاء في الحديث النبوي أن العالِم يستغفر له مَن في السماء ومَن في الأرض وحتى الحيتان في البحر والنملة في جحرها أو كما قال عليه السلام، فالعالِم في نفسه ومُعلّم الناس الخير يستغفر له حتى الحيوانات وكل مَن في النظام الكوني العلوي والسفلي لأنه سيغيّر من أثر خلفاء الله فينفع الجميع ويظهر الصلاح في البر والبحر، والعكس بالعكس، بالتالي ما يحدث من سوء بين الحيوانات وما يحدث لهم من وجه يتأثر بما عليه الناس، كما تجد "الناس على دين ملوكهم" في المجتمعات فإذا فسد الملوك قلّدهم العامّة في فسادهم وضلّوا بضلالهم وتشبّهوا بهم في سوء أخلاقهم، فكذلك يتأثر الحيوان بما عليه الإنسان لأن الإنسان كما قال ابن عربي هو "روح العالَم".

ثالثاً، كون هذه الدنيا دار ابتلاء لقوله "ليبلوكم أيكم أحسن عملاً"، فلابد من وجود ألم ونقص "لنبلونكم بشيء من الجوع والخوف ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين". حتى يتبيّن الراحم من غير الراحم ودرجات الراحمين والمحسنين فيقع لهم ما قاله النبي "الراحمون يرحمهم الرحمن" وقال "ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء"، فإذا لم يوجد الألم والنقص تَرحم مَن؟ كذلك الحال في الحيوانات. ومن هنا قال النبي ما معناه أن من أثر وجود رحمة الله هو رحمة أنثى الحيوان بولدها، فكذلك يوجد تراحم بين الحيوانات وهم أمّة من الأمم مثلنا كما قال القرءان صراحةً "ما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرّطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يُحشرون" فهذا تصريح تام بأن كل الحيوانات أمم أمثالنا، مما يعني أننا لسنا المركز المطلق للحيوانات وكأنه لا معنى لوجودها إلا بنا نحن، بل كل واحدة أمّة خاصة من الأمم أمثالنا، وثانياً هو تصريح تام لا ريب فيه بأن كل الدواب والطيور أي كل الحيوانات ستُحشَر إلى ربّها {ثم إلى ربهم يُحشرون} وهذا فيه إثبات لمعاد الحيوانات وحياتها الأبدية عند ربها، ثالثاً هو تصريح بوجود مثل ما يوجد في حقّنا نحن الناس من ابتلاء ديني كما قال في حقنا "إن من أمّة إلا خلا فيها نذير" فكذلك لكل أمّة من الحيوانات نذير منهم "إلا بلسان قومه ليبين لهم" ولذلك تجد في القرءان النملة تنذر النمل والطير ينطق والدابة تتكلّم، بالتالي حتى الحيوانات لديها رسل منها ولذلك أثبت الله لهم العلم بالصلاة الخاصة بهم والتسبيح الخاص بهم، بالتالي هم أيضاً متعرضين للابتلاء مثلنا، لينظر الله أيهم أحسن عملاً وأكثر استجابة وأحسن إسلاماً لله تعالى. فإن قيل: لكن الله أثبت إسلام كل الحيوانات بنحو لا يمكن فيه العصيان، نقول: قال "أسلم مَن في السموات

والأرض" والناس أيضاً في الأرض بالتالي لا يعني هذا بالضرورة أن كل فرد منهم قد أسلم إسلاماً تاماً لا معصية فيه من أي وجه، فقد تأتي العبارة مطلقة ويكون لها استثناءات، لكن حتى إن سلّمنا بأنها مطلقة في الكل والجزء فإنه قال {أسلم} مما يدل على الإسلام الطوعي، ويشهد لهذا المعنى أن الله استثنى من السجود لله في آية فقال "كثير من الناس وكثير حق عليه العذاب" مما يشير إلى أن العصيان موجود في الجن والإنس خلافاً لباقي الحيوانات، لكن لو كان كل حيوان لا يمكن أن صدر منه أي عصيان مطلقاً أي على مستوى الأفراد لما قال سليمان "لأعذبنه عذاباً شديداً" في الهدهد ولما كان هذا الاحتمال لديه أصلاً. إلا أن الظاهر من القرءان أن الدواب كلها مسلمة ساجدة لله، مصلية مسبحة، والناس وحدهم مَن فيهم العصاة. وعلى هذا الأساس، قد يكون ما يحدث بين الحيوانات من العدوان على بعضها البعض نوعاً من قوله تعالى "أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنّى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير" بمعنى أن الكائن يجرّ على نفسه المصيبة بلسان الحال أو الأعمال وإن لم يُدرك ذلك، من هذا القبيل أكل سمكة صغيرة لسمكة أصغر منها ثم افتراس سمكة أكبر منها لها، وقول النبي بوجود اقتصاص على النطح دليل على أن ليس كل عمل الحيوانات ناتج عن إلهام إلهي خاص لكل واحد منهم. تكفي هذه الإشارات لبيان أن الأمر أوسع وأعمق مما يشير إليه الملحد في حجّته.

فصل: إرادة تفسير حكم الله فقط بالنظر في العالَم الطبيعي الدنيوي مع الكفر بالعالَم الأخروي، هو أمر بشكل عام مستحيل وغير معقول حتى على أساس تصرفاتنا البشرية فضلاً عن الفعل الإلهي. كأن يقول إنسان في المجتمع "هذه الحكومة ظالمة تعاون الظالمين، والدليل هو أنها تركت هذا القاتل بدون عقوبة" فقط لأنه نظر إلى القاتل بعد ثلاث دقائق من قيامه بعملية القتل ولم ينظر إلى "آخرة" الموضوع حين تأتي الشرطة وتقبض عليه وتحاسبه ولعلهم يحكمون عليه بالقتل قصاصاً، فلا يجوز الحكم على فاعل قبل إتمام فعله من كل وجه. لذلك في القرءان، الكافر بالآخرة كافر بالله عموماً، والإيمان بالله مرتبط بالإيمان بالآخرة حتى في الحدّ الأدنى من الدين المقبول عند الله "ءامن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً"، ومن أجل إثبات البعث والمعاد جاءت آيات كثيرة جداً لعلها ثلث القرءان على اعتبار. بما أننا متفقين إجماعاً عقلياً وحسّياً بأن كل مَن في الطبيعة من حيوان وإنسان سيموت، فمهما كانت الصعوبة البادية لنا فإنها فانية ومؤقتة، والعبرة بالباقية والأبدية، فقبل تمام ظهور الحكم الأبدي المصيري للحيوان والإنسان لا يمكن الحكم عقلاً على قيمة حياته الدنيوية لا إيجاباً ولا سلباً.

فصل: وجود الآلام ليس دليلاً على إنكار وجود الله، لأن جهنم موجودة وعذابها شديد وشرارة من نارها يمكن أن تحرق الطبيعة كلها. فعلى المؤمن بالقرءان أن لا يسارع إلى قبول

العلاقة الضرورية ما بين الألم ووجود الله الرحمن الرحيم، وإلا لكان وجود جهنم دليلاً على عدم وجود الله. فالملحد يستطيع إن شاء أن يترك النظر إلى آلام الطبيعة لإنكار وجود الإله، ويكفيه أن يشير إلى العلاقة الضرورية ما بين الألم وإنكار وجود الإله (إن استطاع طبعاً ولا حجّة له) ثم يبيّن أنه حسب العقيدة الدينية توجد آلام عظيمة في جهنم وبناء على العلاقة الضرورية التي أثبتها يستنتج إنكار وجود الإله. وهذا كما ترى من الناحية الدينية غير مقبول. فلا النعيم المطلق يدل على وجود الإله، ولا الجحيم المطلق يدل على عدم وجود الإله. الإله الحق يتعالى على الأمرين، ووحدته فوق الضدّين، ونور وجوده أظهر من العالَمين. "ولكل نبأ مستقر. وسوف تعلمون". نعم يستطيع الملحد إنكار صدق تصوّر معين عن الإله بناء على ما يحدث في العالَم، الدنيوي والأخروي، لكن أن ينكر الإله مطلقاً بناء على ذلك فليس ضرورياً عقلاً.

...

قال علي عليه السلام أن للقرءان ثلاثة قراء، قارئ يقرأه لله وقارئ للجدال وقارئ للدنيا.

أقول: حتى تكون من الذين يقرأون القرءان لله، اقرأ شيئاً آخراً للجدال وثالثاً للدنيا. فأنا مثلاً قرأت القانون للدنيا، وقرأت الفلسفة للجدال، ففرّغت نفسي من قراءة القرءان إلا لله.

...

قال النبي صلى الله عليه وسلم {اقرءوا القرءان ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به}

أقول: اللهم لا حسد، هذه الأمّة كسرت هذه الأوامر الخمسة كلها، إلا ما رحم ربي.

فكثير منهم كسر {اقرءوا القرءان} فهم لا يقرأونه أصلاً.

وكثير منهم كسر {لا تغلوا فيه} والغلو في القرءان مثل الغلو في عيسى، أن تجعل الله هو القرءان أو تجعل القرءان متولداً من ذات الله فيصير ابناً لله، وهذا مضمون عقيدة الكثير جداً من هذه الأمّة الذين يعتقدون في القرءان اعتقاد النصارى في عيسى، مع أنه وردت روايات كثيرة يقول فيها القرءان لله "يا رب" وتقول فيها سور قرآنية لله "يا رب" و "ربنا"، فضلاً عن الأدلة الأخرى.

وكثير منهم كسر {ولا تجفوا عنه} فهؤلاء الذين لا يكادون يتصلون بالقرءان إلا مرّة كل حين، كقراءته فقط في رمضان أو حين تحدث له مشكلة دنيوية أو نفسانية أو يريد "فك السحر" (الشعوذة) عن نفسه وما شاكل.

وأما نهي {لا تأكلوا به} فحدّث ولا حرج، أمم من الشيوخ والمقرئين جعلوا قراءة القرءان صنعتهم ومهنتهم وحرفتهم، صار مصدر دخلهم، إما بتعليم ألفاظه وإما بتعليم ما يدركونه من

معانيه أو ما يظنون أنه من معانيه، أو أخذ أجرة على قراءته في العزاء، أو أخذ وظائف تعليمه وما شاكل من جعله مهنة دنيوية ومصدر عيش.

وأما نهي {لا تستكثروا به} فنسأل الله السلامة، كم من القراء يقرأه وهو يحسب كم مرة ختمه، أو يشتغل بحفظه في ذاكرته للفخر بأنه حفظ هذه الكمّية الكبيرة منه أو كله، أو أهل دراسة يشتغلون فقط بكثرة التأليف التقليدي فيه لإظهار كثرة المؤلفات والدروس القرآنية لمجرّد الكثرة الظاهرية والعددية البحتة فصيّروه مثل مال عبيد الدنيا الذين يتكبّرون بالتكاثر به وليس لاستعماله فيما ينفع.

أمر وأربعة نواهي نبوية، لو أُقيمت لقامت الأمّة. وهي "حديث"، فأين أتباع " الحديث" بزعمهم؟! ولا حياة لمن تنادي.

...

بعد أن ذكر عيسى آياته من إبراء الأكمه وإحياء الموتى بإذن الله والإنباء، جاءت هذه الآية {فلمّا أحسّ عيسى منهم الكفر قال مَن أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله} ثم ذكر الله هذه الآية {ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين}ما علاقة المكر بهؤلاء الحواريين؟

الجواب: {أحسّ عيسى منهم الكفر} أي لمّا رأوا هذه الآيات منه أحسّ بأنهم سيعتقدون بألوهيته. فقال لهم {مَن أنصاري إلى الله} فأثبت الفرق بينه وبين الله، فطلب أنصار نفسه {إلى الله}. لكن الحواريون قالوا {نحن أنصار الله} عند عيسى، وهذه الكلمة فيها مكر، لأنها تحتمل أنهم يقصدون أنهم أنصار الله كما قال الله تعالى "كونوا أنصار الله" وقول الله "إن تنصروا الله ينصركم"، لكنها تحتمل أيضاً وجهاً آخراً وهو أن عيسى قال {مَن أنصاري} فقالوا {نحن أنصار الله} فكأنهم قالوا أن الله هو عيسى. فأخذ أهل المكر والكفر فيهم هذه الكلمة المحتملة لوجه الحق ووجه الباطل، وجعلوها شاهداً لاعتقادهم الباطل.

...

{ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون}

الكتاب ليس مقصوداً لذاته لكنه وسيلة لأمر أعلى وهو {لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون}. فما العلاقة ما بين الكتاب ولقاء الرب؟

اللقاء اتصال، وللاتصال لابد من وصلة، والوصلة بالنسبة لأهل الدنيا منقطعة بيننا وبين ربنا على فرض وجوده عندهم، وهذا هو الشأن عند مفكري الملاحدة أو أصحاب العقائد من المشركين على اختلافهم، فكلاهما ينطلق من أصل واحد وهو انقطاع الوصلة فرضاً أو واقعاً ما بين العبد وربه.

فالملحد يقول "على فرض وجود الرب فلا طريق لنا لمعرفته لأن معرفتنا مقصورة على المحسوس والتفكير في حدود المحسوس ولا فكرة ذات قيمة إلا ما يمكن الشهادة لها بالحس، وحيث أن الرب حسب العقيدة الدينية غير محسوس ومتعالي على الحس، فلا طريق لنا لمعرفته".

وأما المشرك فيقول "الرب متعالي جداً، ولا طريق للعبيد من أمثالنا الغرقى في المادة من الاقتراب منه، ولذلك لابد من اتخاذ وسطاء بيننا وبينه، بحيث يكون الوسيط له وجه إلينا ووجه إلى الرب فيكون نصفه مادي طبيعي ونصفه إلهي قدسي فيُقابلنا بالوجه الطبيعي ويقابل الرب بالوجه الإلهي"، وهنا يختلف المشركون، فمنهم مَن يجعل الوسائط أكثر من واسطة واحدة، كأن يجعل بين البشر والجن واسطة، وما بين الجن والملائكة واسطة، وما بين الملائكة والروح الأعلى واسطة، وما بين الروح والرب واسطة، وهكذا، يختلفون في كمّية وكيفية الوسائط، ومدار عقائدهم كلّها على أصل واحد وهو أن الإنسان كائن مادي سافل منحط غارق في المادة والطبيعة الدنيوية فلا مجال له للقاء الله أصلاً.

إذن الملحد والمشرك سواء في أصل العقيدة في الإنسان وصلته بالمتعالي سبحانه. ولذلك جاء إنكار لقاء الله عند الملحد وعند المشرك بالبداهة تفريعاً على تلك العقيدة.

هنا يأتي القرءان ليقول {ثم آتينا موسى الكتاب} فموسى وسيلة وليس واسطة بالمعنى الشركي. "إنما أنا بشر مثلكم" فالبشرية في موسى وفي كل رسول هي ذات البشرية التي في كل البشر من حيث الجوهر. فلا يوجد تعدد في الطبائع والاختلاف في جوهر الذات ما بين الرسول والأمّة. لكن كل إنسان لديه جانب نفسي وروحاني، لأنه من بني ءادم، "فإذا سويّته ونفخت فيه من روحي"، و"الروح من أمر ربي"، فبالروح الأمري الذي في كل ذات إنسان " فطرت الله التي فطر الناس عليها" فطر الناس كل الناس وليس بعضهم وهي فطرة واحدة، بهذا الروح يتلقّى الكتاب ويحصل لقاء الله، "ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون". فالوصل إذن في حضرة روح العقل، لذلك قال "ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون". ما الفرق بين الرسول وغير الرسول؟ الفرق هو تفعيل الجانب الروحي والنفسي في الرسول من قبل فعل الاجتباء الإلهي، بين غير الرسول قد يقع له اجتباء وقد يتفعّل هذا الجانب فيه بالإنابة إلى ربّه، قال "الله يجتبي إليه مَن يشاء ويهدي إليه مَن ينيب"، فالرسول مجتبى بالمشيئة الإلهية وغير الرسول مهتدي بالإنابة الإنسانية. الرسول وغير الرسول قابل ذاتياً لتلقّي الكتاب وسماع كلام الله وحياً ومن وراء حجاب وعبر الرسول الموحي بإذن الله ما يشاء، لذلك قال "وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه

علي حكيم"، فالبشرية لا تمنع من الاتصال بالله تعالى، بالرغم من علو الله، لأن في البشر جانب قابل لسماع الكلام الإلهي.

لكن ما هو لقاء الله؟ "لا تدركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير"، فاللقاء أصله لقاء كلام بالوحي المجرّد أو من وراء حجاب أو بوسيلة رسول، والأعلى هو الوحي الذي لا حجاب ولا رسول فيه، فالحجاب جاء بسبب النفس، والرسول جاء بسبب البدن، لكن الوحي المجرّد حظ الروح، والإنسان روح ونفس وبدن، كل إنسان لأنه من بني ءادم الذي هذا شأنه.

اللقاء في عرف الناس إما لقاء رؤية وإما لقاء كلام، وإما هما معاً. سأل موسى ربّه لقاء الرؤية حين قال "رب أرني أنظر إليك" وذلك بعد أن حصل على لقاء الكلام "وكلّمه ربّه" في الميقات. قوله "أرني أنظر إليك" ثلاث كلمات، كل كلمة من أربعة حروف، وهي تعبير عن العوالم الثلاثة للإنسان، أي البدن والنفس والروح، على تسلسل خلق آدم "إني خالق بشراً من طين. فإذا سويّته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين". فسأل موسى بقوله "أرني" الرؤية الحسّية، قال الله "هذا خلق الله" بعد أن ذكر مظاهر طبيعية "أروني ماذا خلق الذين من دونه". وسأل موسى بقوله "أنظر" الرؤية النفسية، قال الله "أولم ينظروا في ملكوت" "أفلم ينظروا إلى السماء" والنفس ملكوتية سماوية، خلافاً للبدن الذي هو ملكي أرضي. وسأل موسى بقوله "إليك" الرؤية الروحانية، لأن "الروح من أمر ربي" "غفرانك ربنا وإليك المصير" وقال بعدها "سبحانك تبت إليك" "توبوا إلى الله" "سبحان الله" فمدلول "إليك" هو المُسبَّح تعالى "إنا هدنا إليك". هذا تأويل. فلمّا بيّن له عدم قابليته لتحمّل ذلك، إما في الدنيا وإما مطلقاً هنا احتمال، اكتفى بالرسالة وبالكلام "فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين".

تأويل آخر، يشهد له التمييز ما بين النظر والبصر. قال للنبي "وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون"، لاحظ تسلسل "تراهم ينظرون إليك" الذي يطابق تسلسل قول موسى "أرني أنظر إليك"، فقد عرفنا في آية النبي أن المقصود التمييز ما بين ظاهر النبي وحقيقته، فهم ينظرون إلى ظاهر النبي ولا يبصرون حقيقته النبوية النورية لأنهم "يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون" وكذلك بينه وبينهم حجاب عند قراءة القرءان لأنهم "لا يؤمنون بالآخرة"، فعلى هذا يكون قول موسى "أرني أنظر إليك" يدل على الرؤية الظاهرية، فيبقى احتمال الإبصار الذي هو الرؤية الباطنية، ويشهد أيضاً لهذا التمييز قوله "وهم لا يبصرون" وقوله في آية أخرى "ومنهم مَن ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون". إذن يوجد نظر ويوجد بصر، والصبر أعمق من النظر. لكن الله قال عن نفسه "لا تدركه الأبصار"، فمن باب أولى أن لا تُدركه الأنظار. فبهذه الكلمة نفى إمكانية إدراكه بالأبصار نصّاً وبالأنظار ضمناً، وهو نصّ مُحكَم.

وحيث أنه قال في آية الكلام "ما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا وحياً" فهذا النفي يتعلّق بالبشر من حيث هو بشر، "ما كان لبشر"، والبشر لا يصبح غير بشر في الآخرة، بل هو بشر في الدنيا وفي الآخرة "ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون"، وكذلك قال في الآخرة "منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى"، فالإنسان هو الإنسان جوهرياً لا يختلف شأنه ما بين الدنيا والآخرة. البشرية تتعلّق بالتراب، لكن النفس والروح ليسا من التراب، فهما من طور فوق طور البشرية، "بشراً من طين"، فالبشرية هي الجانب الطيني فقط من الإنسان. فما دام الإنسان منحصراً في بشريته، فلا يمكن له تلقّى كلام الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو عبر رسول. والبشرية مستمرة. فإذا كان كلام الله منفي عن البشر إلا وحياً فما دونه، فمن باب أولى أن تكون نفس الله متعالية عن إدراك البشر.

فالقدر المقطوع به من لقاء الله هو اللقاء الكلامي. والكلام يكون عبر الكلمات أو عبر الكتب. فمَن قرأ كتاب الله فهو في لقاء الله، بدرجة ما. ومن هنا نرجع إلى الآية السابقة. {ثم آتينا موسى الكتاب} كما أن كل إنسان في الآخرة سيلقى كتاباً من عند الله له خصوصاً"وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً".

لذلك جاء في بيان كتاب موسى {تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة} وهذه الأوصاف الأربعة تذكير بالكتاب الذي سيلقاه يوم القيامة حين يتحقق "ووجد الله عنده" لكل إنسان "فوفاه حسابه"، "تجدوه عند الله".

فقوله {تماماً على الذي أحسن} يدل على وجود أمر ما فوق الجانب الطيني الدنيوي فيك أيها الإنسان، يعرّفك بوجود ما هو أحسن من الدنيا، ما فيه نور تام "ربنا أتمم لنا نورنا"، فأنت في الدنيا في نقص "لنبلونكم بشيء من الجوع والخوف ونقص"، وفي ما دون الأحسن لأن "الآخرة خير وأبقى"، لكن كتاب الله يأتي {تماماً على الذي أحسن}. هذا وجه في فهم الآية.

وقوله {وتفصيل كل شيء} حتى يذكّرك بأن الله وسع كل شيء رحمة وعلماً، وهو معك أينما كنت، ويشهد كل شؤونك. وسينعكس هذا في الآخرة برؤية الكتاب الذي "لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها". فكتاب الله مفصل تفصيلاً حتى يذكّرك بذلك. ومن هنا تدرك بالمناسبة شدّة جهالة الذين يزعمون بأن كتاب الله غير مفصّل وأنه من قبيل المجملات والمبهمات والكلّيات والعموميات، فلا يعرف هؤلاء أنهم ينسفون ركناً من أركان مقصد إنزال الكتاب أساساً.

وقوله {وهدى} حتى يذكرك بالهداية إلى طريق الجنّة في الآخرة كما يهديك إلى طريق الاطمئنان والنصر والسعة في الدنيا بوسيلة كتابه "يهديهم إليه" "الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله".

وقوله {ورحمة} حتى يذكرك بأنه سيرحمك في الآخرة العليا، فإذا كان يرحمك في الدنيا فمن باب أولى أن يرحمك في العليا، وإذا كان يريد بك اليسر في أحكام الدنيا فمن باب أولى أن يريد بك اليسر في أحكام العليا وأنت أحوج إلى الرحمة في الآخرة منك في الدنيا.

هذه الأركان الأربعة، التمام والتفصيل والهدى والرحمة، عليها قامت الكتب النازلة ومقصدها الأعلى هو {لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون}.

لقاء الله أن يكلمك وتكلّمه، ويفعل فتشهد فعله على أنه فعله، وتدعوه فيستجيب لك بفضله. ففي الكلام سعادة روحك، وفي الشهود سعادة قلبك، وفي الاستجابة سعادة نفسك، وقد خلقك ليعطيك. فخذ كتابه اليوم، وانعم به إلى الأبد، وله وحده الحمد.

...

قالت: سلام. ممكن توضيح عن تحليل الزواج من أربع نساء

الفكرة ماعم أقتنع فيها وبنفس الوقت بخاف كون عم كذب حكم من أحكام الله اللي أنزلها

الموضوع مستفز لأي مرأة بأن الزوج بيتباها بأن الشرع حلل أربعة وببلش بغيظها حتى لو بس بالحكي أن اللي بعرفو الأصل يكون في أيتام للتبني وبعدين زواج ويكون في عدل ياريت توضيح بعد أذنك ؟

قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته مرحبا..

كتبت عن هذا الموضوع كثير في كتبي. فاقرأي فيها عموماً بشكل منتظم وستجدي إن شاء الله التفاصيل

لكن في الجملة:

كل تعدد فيه ظلم بنص القرءان "لن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم". مما يعني أن تحمّل هذا القدر من الظلم لا يجوز عند مَن يعرف أن "الظلم ظلمات يوم القيامة" إلا لضرورة قصوى وحالات خاصة مهمة، وليس ترفاً ولا لمجرد الشهوة الفايرة ولا للإغاظة والعبث.

ثم إغاظة المرأة مرفوضة لقول الله للنبي "ذلك أدنى أن تقرّ أعينهن ولا يحزنّ ويرضين بما آتيتهن كلهن" فهذا يبين مقاصد أحكام النساء في كتاب الله، فما خالف ذلك من تطبيقات فهو ضد روح القرءان.

...

كل ما ورد في أهل الكتاب، وارد في أهل القرءان وأهل كل كتاب. فاعتبروا يا أولي الأبصار.

...
الصلاة القرآنية جامعة واسعة. لكن من شأن الناس الميل إلى التفريق والتضييق، لذلك خرجوا عن الصلاة القرآنية إلى الصلاة الفِرَقِية الجسمانية.

الصلاة القرآنية جامعة لأنها قراءة سورة الحمد. وسورة الحمد هي صلاة يمكن لكل مَن يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل صالحاً من جميع الملل أن يقرأها ويصلّي بها، سواء كان يهودياً أو نصرانياً أو صابئياً أو مجوسياً. هي صلاة جميع الأقوام، صلاة الأمّة الواحدة. ليس فيها ذكر لأي من العناصر التي تميّز الملل عن بعضها البعض، فلا ذكر فيها لرسول ولا إمام ولا كتاب ولا شيء غير الأمور الكلّية العالية الجامعة للمؤمنين بالله واليوم الآخر.

الصلاة القرآنية واسعة لأنها بعد ذلك القراءة العاقلة لسور القرءان. قراءة التعقّل تعني بالضرورة دوام تغيّر المعاني والفتوحات والتصورات، فلابد لها من نفس مائية مرنة متجددة. هي صلاة العلماء وأهل الذكر والفكر والتأمل والتدبر. هي قراءة الكتاب بتعقّل.

الآن، حين ترغب في استعباد العامّة، أو ترغب العامّة في الميل إلى الكسل، فما العمل؟ لابد من تغيير الطبيعة الجامعة للصلاة القرآنية، وتغيير الطبيعة الواسعة الحيّة المتجددة لها أيضاً. لابد من وضع التصورات التمييزية التفريقية، ولابد من قتل العقل وجعلها جامدة صورية. هذا بالضبط ما حدث حين تم تغيير الصلاة القرآنية إلى الصلاة اللفظية الحركية وجُعلت هذه بدلاً من أن تكون نوعاً من الرياضة الروحية أو إطاراً للصلاة القرآنية أو نوع من المقدّمة الإعدادية للصلاة للقرآنية، جُعلت هي الفرض المطلق الذي يكون به الانضمام إلى الملّة والخروج عنها والقتل والحبس أيضاً على تاركها أو الرفض والطرد وأنواع العقوبات الاجتماعية كحدّ أدنى. لذلك قد تقوم بالصلاة الحركية ألف سنة وعقلك هو هو، ونفسك هي هي، وإيمانك هو هو، وحياتك كما هي. لا تجمعك بإنسان، ولا تفتح لك أكوان، ولا تتقرّب بها إلى الرحمن. صورة جامدة ميتة، ثم هي بعد ذلك سبباً للصراع بين مذاهب المسلمين فضلاً عن الصراع مع الأمم الأخرى، فبدلاً من الصلاة القرآنية الجامعة لكل الملل صارت الصلاة ليست فقط مفرّقة لأهل القرءان عن بقية الناس بل حتى مفرّقة لأهل القرءآن فيما بينهم، بل صارت مفرّقة لأصحاب الفرقة الواحدة إلى طوائف وكل واحدة تصلّي لوحدها.

الصلاة القرآنية جامعة تناسب أهل الوحدة، وحيّة تناسب أحياء القلوب، ومتجددة تناسب نشطاء النفوس.

...
ذكر الله ولادة مريم ثم احتياجها إلى كافل ثم ولادة عيسى، كمَثَل لمحمد والقرءان، حتى لا يؤله أحداً محمداً والقرءان كما ألّه أولئك مريم وعيسى.

...
{فنادته الملائكة وهو قائم يصلّي في المحراب} {كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً}: كان قائماً يصلّي في محراب مريم، يتبرّك به ويتوسّل إلى الله بموضع نزول رزق بغير حساب لها حتى يستنزل منه رزقاً بغير حساب له مثلها.

...
{فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم}: هذه الآية قاعدة الإيمان الصحيح، وهي حجّة على كل إنسان ولو كان مُلحداً يزعم أن الدين يأمر الناس بالاعتقاد والمحاججة عن ما ليس لهم به علم. لو جاء إنسان يوم الدين واحتجّ على تركه الدين بأنه لم يكن له به علم، وكان صادقاً، لنجا بهذه الآية. لكن أين هذا من "سيريكم آياته فتعرفونها".

...
(أدواء قومية وأدوية قرآنية)

١-{ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلّونكم} طائفة المُقلّدة، الذين ينكرون أي مذهب وراء مذهبهم، وأي فهم وراء فهمهم لكتاب الله.

{وما يضلّون إلا أنفسهم} لأنهم بإنكارهم الفهم الجديد للكتاب والمغاير لما عندهم، قد أضلّوا أنفسهم عن المعلومة الجديدة.

{وما يشعرون} لاستحكام داء التقليد فيهم، فأحاط بهم من جميع جهاتهم.

الداء: الانحصار في فهم وفي كتاب مخصوص.

الدواء: الانفتاح على كل فهم وكل كتاب ومحاكمته إلى ذات الكتاب وطرق العلم.

٢-{يا أيها الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون}

يقولون: آيات الله تقضي بكذا، لكن لدينا مصدر ديني ما وراء آيات الله يقضي بغير كذا، ونحن نأخذ المصدر الآخر ونقضي به.

يقولون: آيات الله جاءت بحكم عام يحتمل أكثر من صورة، لكن المصدر الآخر فيه صورة مخصوصة، فنحن نقضي بالصورة المخصوصة فقط وننكر أي صورة أخرى.

الداء: تقديم مصدر على كتاب الله. الدواء: تقديم كتاب الله مطلقاً.

الداء: تخصيص كتاب الله وإنكار الصور الأخرى. الدواء: قبول كل الصور التي يحتملها حكم الله في كتابه وتركها على عمومها مع العمل بالصور الخاصة مع عدم إنكار ما وراءها طالما أنها تابعة للأصل الكتابي العام.

٣-{يا أيها الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون}

كتاب الله حق، يأتون بمصدر آخر هو باطل لأنه غير حي أو لأنه مخلوط بالباطل لأنه تاريخي وظنّي وفيه بإقرارهم أهل كذب وفيه وهم ونسيان وما فيه اختلاف فيه وتناقض وتعارض حقيقي كثير. فيأخذون بذلك المصدر الآخر ويكتمون الحق الذي علموه من كتاب الله ويصبح نسياً منسياً فيما بينهم.

الداء: كتم ما في كتاب الله حفاظاً على اعتبار شيء غيره.

الدواء: تبيان ما في كتاب الله بلا قيد أو شرط.

٤-{وقالت طائفة من أهل الكتاب ءامنوا بالذي أُنزل على الذين ءامنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون}

الحيلة في الدعوة، واعتبار الدعوة نوعاً من الحرب والحرب خدعة يجوز فيها الكذب فيجيزون الكذب في الدعوة لجعل المغايرين لهم في الملة والطائفة يرجعون ويتخلون عن ما هم عليه.

الداء: اعتبار الدعوة حرب. الدواء: الدعوة حق كلها ولابد فيها من التصريح والبيان حتماً وكل إنسان مسؤول عن نفسه عند الله فقط.

٥-{ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم} داء. دواؤه: استماع القول واتباع أحسنه أيا كان دين القائل.

...

ترى العجب العجاب من المتدينين أحياناً، سواء في الحسنات أو في السيئات. فمن السيئات قول بعضهم {ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم..أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجّوكم به عند ربكم} كيف يقولون هذه العبارة وكأنهم يعتقدون بأن ربهم ليس معهم ويشهد قولهم؟ أُرى أنهم كانوا في اجتماع سرّي، وكانت بينهم امرأة شبه عارية حتى تنفر الملائكة من الحضور عندهم حسب اعتقادهم، ولعلهم يكذبون كذبة قبل الشروع في هذا الحديث حتى تتباعد منهم الملائكة من نتن ما جاءوا به، ويرون بأن الله لا يعلم إلا ما توصله له الملائكة الكتبة، فإذا جعلوا الملائكة تتباعد منهم، ولعلهم قالوا ذلك في الحمام زيادة على ما سبق، فالنتيجة أن قولهم هذا لن يُكتَب، وحيث أنه لم يُكتَب فلن يصل إلى الله، وبالتالي لن يعلم الله بهذا الكلام. غفل هؤلاء أن كتابة الملائكة حجّة عليهم وليست وسيلة علم لله، حتى يقال له "إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون" ثم يقال له "اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً".

...

الله مع الكل، مطلقاً. حتى أهل النار قال فيهم {أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله} فهي {لعنة الله} إذن، فالله حاضر معهم حتى في اللعنة. "وهو معكم أينما كنتم" في الجنّة أو في النار. {لا يُخفف عنهم العذاب} هذا وجه {لعنة}، لكن وجه {الله} من {لعنة الله} هو سعادة نفوسهم فإن النفس سعادتها في رؤية حضور الله معها.

...

{إن الذين كفروا وماتوا وهم كفّار لن يُقبَل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به} ما معنى {ملء الأرض ذهباً}؟ يعني عملهم الظاهري الأرضي، "قدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً". فالإيمان روح، والعمل جسم. الإيمان سماء، والعمل أرض. فحتى لو كانت أعمالك الظاهرية من ذهب الشريعة والطريقة، فلا قيمة لها بدون روح الإيمان وسرّ الإخلاص. وإلا فمن البديهي أن الكافر لن يجد ذهباً بالمعنى الدنيوي لذلك ليشتري به شيئاً في الآخرة، إنما هو يوم {تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء} و {مَن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره. ومَن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره}.

...

{كل الطعام كان حِلّا لبني إسرائيل} هذا الأصل.

{إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه} لم يحرّمه على بنيه وعلى الناس أجمعين، بل حرّمه على نفسه فقط، لكنهم قلّدوه وجعلوا على أنفسهم ما جعله هو على نفسه. ولو حرّم عليهم ما أحلّه الله لهم لكفر إسرائيل حاشاه.

{من قبل أن تُنزَّل التوراة} كتاب الله الذي فيه الهدى والنور.

{فأتوا} يا أصحاب التوراة من ذرية بني إسرائيل.

{بالتوراة فاتلوها} فالتلاوة مرتبطة بفهم المعاني، وإلا لما قال {فاتلوها} لو كانت مجرد ترديد للألفاظ بغير تعقّل للمعنى، فإنه جعل تلاوة التوراة حجّته عليهم في المعاني التي ذكرها في أول الآية. كذلك جعل الحجّة في تلاوة كتاب الله، في الأمر القصصي وفي الأمر التشريعي.

{إن كنتم صادقين} في أن "كل الطعام" لم يكن حلاً لبني إسرائيل، أو أن إسرائيل حرّم على بنيه ولم يحرّم على نفسه فقط، أي في ضد ما قاله الله في هذه الآية.

{فمن افترى على الله الكذب} نسب إلى الله أنه حرّم طعاماً لم يحرّمه، ونسب إلى رسل الله تحريم أو تشريع شيء مطلقاً لم يأمرهم به الله، فإن الكذب على الرسل كذب على الله لأنه "ما أرسلنا من رسول إلا ليُطاع بإذن الله" و "مَن يطع الرسول فقد أطاع الله".

{من بعد ذلك} من بعد تلاوة التوراة، من بعد تلاوة كتاب الله وتعقّل ما فيه في أمر القصص والأحكام.

{فأولئك هم الظالمون} الظالم مَن لا تكفيه حجّة كتاب الله وتلاوته مباشرة. فإنه قال لهم " فأتوا بالتوراة فاتلوها" فاحتجّ عليهم بتلاوتهم هم، وفهمهم هم الناتج من هذه التلاوة. ولو قالوا له: نحن أقلّ من أن نتلو بأنفسنا ونفهم بأنفسنا بل نحن تبع لمن سبقنا في التلاوة. لما قبل منهم ولم يعرض حتى هذا الاحتمال لهم. فتلاوة أهل الكتاب حجّة لهم وعليهم فيما يتعلق بالكتاب.

{قل} بعد أن يأتوا بالتوراة ويتلوها ويتبيّن ما قاله الله في أمر إسرائيل وبنيه وتحريم الطعام.

{صدق الله} لأن ما قاله في القرءان تبيّن صدقه بعد القيام بالتلاوة، أي صدق قوله بعد تجربته.

{فاتبعوا ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين} العودة إلى الأصل النقي والمبدأ الأعلى. فإن أسباط إسرائيل تبع لإسرائيل، وهو تبع لإسحاق وإسماعيل، وهما تبع لإبراهيم. الاتباع في ثلاثة، الملّة والحنيفية والتوحيد. فالملّة هي الأحكام العملية "ما أنت بتابع قبلتهم"، والحنيفية لوجه القلب لأنها ميل النفس من الخلق إلى الحق "إني وجهت وجهي للذي فطر"، والتوحيد للروح العقلي "فاعلم أنه لا إله إلا الله" وقال إبراهيم لقومه المشركين "أفلا تعقلون".

...

{إن أوّل بيت وُضع للناس للذي ببكّة مباركاً وهدى للعالمين}

{أول بيت} بيت إبراهيم، كما قال في نفس السورة لكن قبلها بآيات "إن الله اصطفى ءادم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران" فآدم ونوح ليسا بيتاً، لكنهما أفراد وإن كانت لهما بيوت لقول نوح في استغفاره "ولمن دخل بيتي مؤمناً"، لكن إبراهيم هو أول بيت لأنه {آل إبراهيم} وهم الذين ذكرهم قبلها بآيات "وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط"، فهؤلاء خمسة أسماء كما أن كلمة "البيت" في قوله "لله على الناس حِجّ البيت" من خمسة أحرف. وهم ثلاث طبقات من حيث الوالدية، لأن إبراهيم والد فهو الطبقة العليا، وتحته طبقة إسماعيل وإسحاق، وتحت إسحاق يعقوب وهو الوالد الثالث، ثم تحت يعقوب الأسباط. في الجملة هم أربع طبقات، طبقة إبراهيم، وطبقة إسماعيل وإسحاق، وطبقة يعقوب، وطبقة الأسباط. وبذلك يوازون طبقات "العالمين" الأربعة، العزّة والعرش والسماء والأرض. لذلك قال {هدى للعالمين}. فإبراهيم هدى من عالَم العزّة، وإسماعيل وإسحاق هدى من عالَم العرش، ويعقوب هدى من عالَم السماء، والأسباط هدى من عالَم الأرض.

{فيه ءايات بينات مقام إبراهيم ومَن دخله كان ءامناً} لأنه من عالَم العزّة، وهي عزّة لأنها منيعة ممتنعة عن أن ينالها ما يخرج مَن فيها عن الأمن، لذلك قال "كان" ءامناً، وليس عليهم أن تؤمنوه.

...

لابد من فهم طبيعة المجتمع الحداثي، حتى لا تتوهم أموراً مبنية على المجتمع التقليدي فتحسب أنه توجد فيك مشكلة أو في الناس والحق أن طبيعة المجتمع اختلفت لا غير.

مثلاً، المجتمع الحداثي قائم على الفردية، يعني الأصل أن لا توجد رابطة بينك وبين أي أحد، بالتالي الأصل أن لا يهتم بك أحد ولا تهتم أنت بأحد، لا يلتفت أي أحد لأي أحد في الأماكن العامة، ولا يسلّم أحد على أحد باللفظ بل الأصل تسالم الكل فعلياً وواقعياً لا لفظياً ورسمياً. لذلك لا تفترض شيئاً بناء على عدم التواصل الاجتماعي في الأرض. هذه طبيعة المجتمع. أراحت من جهة كل فرد من الجماعة وقيودها، لكن في المقابل خسر الأفراد نوعية خاصة من الراحة التي يمكن أن تأتي من الجماعة المرتبطة بالفرض والابتداء بدون الحاجة إلى تعمّل واكتساب كروابط الدم والقبيلة والطائفة. في المجتمع الحداثي، لابد أن تقيم الرابطة والصلة بينك وبين أي فرد، تقيمها اكتساباً وتعمّلاً وتجتهد في ذلك وتجتهد في الحفاظ عليها.

مثال آخر، الانتاج سبب القيمة. في المجتمع الحداثي لابد أن تُنتج شيئاً، إما مادة أو خدمة أو تسلية للمجتمع حتى تكون مشهوراً ومعتبراً وتلتفت لك الأنظار إعجاباً واحتراماً بشكل خاص، وإن كان يوجد الاحترام العام لكل أحد لكنه بالحدّ الأدنى بشكل عام. في المجتمع التقليدي، قد تكون القيمة لأفراد ليس لأنهم أنتجوا شيئاً، لكن فقط لانتسابهم إلى جماعة معينة مثل عائلة حاكمة أو طبقة دموية أو طائفة.

مثال ثالث، الأصل في سبب وجود المجتمع الحداثي هو لتنظيم صناعة المال والحفاظ عليه وتنميته وتبادله ونقله، أي هو مجتمع قائم على تحرير النفوس من بعضها البعض مع الحفاظ على الملكية الخاصة للمال. لذلك لا تستغرب من كثرة مظاهر المال وشؤونه فيه، لأنه في ظاهر المجتمع قائم على هذا الأمر بشكل رئيس. وأما الأمور النفسية، فمتروكة محررة للأفراد وما يحبّونه فيها. خلافاً للمجتمع التقليدي المهووس بتقييد نفوس الناس وتصرفاتهم، حتى أفكارهم وخواطرهم، وإن كان بعد ذلك يتسامح أحياناً في الأمور المالية أو لا يتسامح فيها.

مثال أخير، التواصل في المجتمع الحداثي مبني على الحرية لا الجبرية، فلا أحد مجبور على أن يتواصل مع أحد بشكل عام، وحيث توجد الحرية ستجد الكيفية العالية لأنه لابد من حدوث نوع من الإقناع للأفراد للدخول في الصلة وإقامتها والمحافظة عليها، خلافاً للمجتمعات

التقليدية التي الرابطة فيها مفروضة جبراً فتجد الناس يستمتعون نسبياً بوجود هذه الرابطة الجبرية التي لا حاجة للتعمّل في اكتسابها لكن في المقابل ستجدهم يعانون نسبياً بسبب نفس هذه الرابطة الجبرية وقيودها وحدودها.

أصالة الفرد، قيمة المرء ما يُحسن، المجتمع أساساً لتحرير النفس وتنظيم المال، عدم الإكراه، هذه الأركان الأساسية للمجتمع الحداثي. اعرفها جيداً لتعرف زمنك وإلى أين يتجّه تيّار الفكر والسلوك فيه.

...

(ذكر قرآني لآناء الليل وأطراف النهار)

بسم الله الرحمن الرحيم. سبحان الله رب العالمين. تبارك الله رب العالمين. هو الحي لا إله إلا هو. ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً. رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين. رب زدني علماً. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات. حسبنا الله ونعم الوكيل. سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين.

...

بينك وبين الواقع الخارجي، الفكر. أنت ترى بعين الفكرة. لذلك قد ترى وقد تعمى.

...

بداية شفاء النفس في التعلّم، أنت تتعلّم عن نفسك وشؤونها وعلاقتها. ثم الصلاة، حتى تفعّل عملياً ما تعلّمته نظرياً. ثم الشعائر التي فيها تطبيق رمزي لعملية تغيير النفس ونموها وتنويرها ومرورها إلى الآخرة. فإن عملت كل ما مضى ولا زلت تجد عُقداً في نفسك لا حلّ لها، فاستعن بالله وخُذ في قيود وشروط كثيرة وفي وضع مضبوط وجاد مثل العملية الجراحية خُذ فِطراً لمرّة واحدة أو لعدد قليل جدّاً وفي ظروف جدّية شعائرية وليس للتسلية ولا للعبث ولا للإدمان بل كمثل العملية الجراحية كعملية القلب المفتوح لاستخراج شيء أو لفتح شيء مسدود ونحو ذلك، فإن الفطر من خلق الله ورزقه في الأرض.

...

قالت: هل لديكم شي عن اسباب التحريف ؟ " يحرفون الكلم عن مواضعه " واذا كانوا يبغونها عوجا .. ليه يبغونها عوجا ؟ هل في متعة او شهوة معينة ؟ هل لديكم مقال عن هذا الشي ؟

قلت: ستجدي كلاماً عن ذلك إن شاء الله إذا قرأتي كتبي وحضرتي مجالسي.

لكن على رأس أسباب التحريف ما يلي:

أوّلاً، إرادة العلو في الأرض. وذلك عبر صنع طائفة خاصة تدعي أنها المصيبة للحق في الدين، فتصنع رأياً خاصاً لتصنع مذهباً ثم لتجلب أتباعاً كالعبيد لأرباب الطائفة.

ثانياً، التنافس بين أرباب المذاهب. كما قال {بغياً بينهم}. وقد يكون في هذا من أجل جلب اهتمام الحكام، فالشيوخ يتنافسون فيما بينهم حتى يجذبوا أنظار أصحاب الدولة السياسية لهم ليدعموهم دون سواهم، فيحرفون الدين حتى يتناسب مع أهواء الحكام وطلباتهم من الشيوخ الذين وظيفتهم تركيع عامّة الناس للدولة.

ثالثاً، المثلية النفسية. كالمثلية الجنسية البدنية، توجد مثلية نفسانية، وهي ميل الخلق إلى الخلق بدلاً من الحنيفية التي هي ميل الخلق إلى الحق تعالى. فالمخلوق يميل للمخلوق مثله وقد ينفر من الخالق وكلامه، لأن كلامه روح وهؤلاء ميالون إلى النفوس مثلهم أو الأبدان مثلهم، فلذلك يكرهون الواحد ويحبّون الكثير، يكرهون الروح ويحبّون النفسانيات والجسمانيات الطبيعيات، يكرهون الآخرة ويحبّون الدنيا. فيحرّفون الدين ليتلائم مع هذه النزعة للمثيل.

رابعاً، الله تعالى لأنه "فعّال لما يريد" فأمره مستقيم، "كن فيكون" والسلام. لكن المخلوق لأنه لا يستطيع أن يجلب ما يريده إلى العالَم إلا بواسطة غيره، إما بالتوسل إلى الله تعالى كالدعاء، وإما باتخاذ الأسباب كالأسباب الطبيعية لإحداث الآثار التي يريدها، فالمخلوق بطبعه معوج لأنه لا يستطيع تحقيق ما يريده باستقامة من إرادته إلى الواقع، بل لابد من توسّل إرادته بشيء وهذا الشيء يُحدث له الأثر في الواقع. لذلك لمّا يغفل الإنسان عن الخالق تعالى، فإن طبعه يغلب عليه فيجعل حتى أمر الخالق معوجاً. فمثلاً، بدلاً من الرجوع إلى كتاب الله مباشرة، وبدلاً من أخذ الحكم من رسول الله مباشرة إذا كان الرسول حياً حاضراً، فهؤلاء يميلون إلى الاعوجاج، فلا يحبّون الرجوع إلى الكتاب، ولا يحبّون الرجوع إلى الرسول، "إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً" "يُدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون". فهؤلاء لا يرجعون إلى كتاب الله بل إلى كتب وهذه الكتب واسطتهم بزعمهم إلى كتاب الله. ولا يرجعون إلى رسول الله ولكن إلى ناس وهؤلاء الناس بزعمهم واسطتهم إلى رسول الله. وعلى نفس الطريقة، لا يرجعون إلى الله مباشرة لكن إلى الآلهة والأصنام التي يزعمون أنها واسطتهم إلى الله.

...

التغيير النفساني يأتي بعد حين من الاقتناع العقلي إن شاء الله. فالعقل أسرع تغييراً من النفس. لذلك لا تستعجل التغيير النفساني لا في ذاتك ولا غيرك. ولا تقل "لو كانت الفكرة حقّاً لحدث التغيير فوراً"، فالعقل يدرك الفكرة في لحظة مثل "كن فيكون"، لكن النفس تحتاج إلى فترة مثل "في ستة أيام".

...
قال في عيسى لمريم {كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون}، يعني بقوله {يخلق ما يشاء} جسمه، وبقوله {إذا قضى أمراً} روحه لقوله "أوحينا إليك روحاً من أمرنا". ثم النفس ثمرة التزاوج بين الجسم والروح.

...
قال في آل عمران عن زكريا {فنادته الملائكة وهو قائم يصلّي في المحراب} ثم قال بعدها بآيات عن أهل الكتاب {من أهل الكتاب أمّة قائمة يتلون آيات الله وهم يسجدون}. قائم قائمة، يصلّي يتلون آيات الله. فالصلاة تلاوة آيات الله. لذلك قال "ويل للمصلّين. الذين هم عن صلاتهم ساهون" لأنه قد يكون مصلّياً مع سهوه عن ما يتلوه من آيات الله فلا يتعقّله ولا يراه في الآفاق والأنفس ولا يؤمن به ولا يعمل به.

...
الرسول ينطق باسم الجماعة وعنها، لقوله {قل ءامنّا بالله وما أُنزل علينا..لا نُفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون} فهذه خمسة ضمائر جمع: ءامنّا وعلينا ونفرّق ونحن ومسلمون، كلها ينطق بها واحد هو المأمور بـ{قل}.

ومن هنا قال قبل بآية يذكر قضية {إذ أخذ الله ميثاق النبيين..ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنّه} فالرسول ينطق عن النبيين ولذلك يقول {أُنزل علينا} ويقول {نحن له مسلمون} فالمسلم هنا أُنزل عليه شيء من الله كما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط من حيث الإنزال، فالذين آمنوا بالله في {قل ءامنّا بالله} هم أيضاً ممن أُنزل عليهم في {وما أُنزل علينا}.

مَن أُنزل عليه شيء فهو نبي، {ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة}، ولذلك قال في المؤمنين {ما يودّ الذين كفروا أن يُنزَّل عليكم من خير من ربكم} وقال {يؤتي الحكمة مَن يشاء}.

ومن هنا ردّ على الذين يقولون {نؤمن بما أُنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم} فقال لهم {فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم صادقين}، أي لأنهم ادعوا أنهم يؤمنون بما أُنزل عليهم، وما أُنزل عليهم جاءهم من أنبياء الله، ومع ذلك قتلوهم، فكيف يؤمنون بما جاءوا به ويقتلوهم في آن واحد. ويشهد لهذا آية أخرى {أو تقولوا لو أنّا أُنزل علينا الكتاب لكنّا أهدى منكم فقد جاءكم بيّنة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذّب بآيات الله وصدف عنها} فالبيّنة التي جاءتهم هنا هي بوسيلة النبي لأنه قال قبلها يذكر القرءآن "وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه" ثم بيّن من حِكَم إنزاله هو أن لا يحتجّوا على الله بأنهم غفلوا عن دراسة

أهل الكتب قبلهم أو أن كتاباً لم يُنزل عليهم، فقد جاءهم بكتاب مثل كتب الذين من قبلهم بل مهيمن عليها، وقد أنزل عليهم الكتاب بوسيلة النبي محمد صلى الله وعليه وسلم.

النبي وسيلة إنزال بالدعاء إن شاء الله أن يستجيب له. كما قال {قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء..وارزقنا وأنت خير الرازقين} فاستجاب له {إني منزلها عليكم}. فالنبي لا يستطيع أن يُنزل شيئاً بغير إذن الله واستجابته لدعائه.

ما يُنزله الله على الناس، بدعاء نبي أو بغير دعاؤه، هو آيات الله، لا ملائكة الله ومن باب أولى أن ليس للإنسان سؤال رؤية الله. لذلك قال في آخر آية تذكر الإنزال "على"، {وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أُنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً}. من هنا حتى عيسى حين دعا ربه للإنزال قال في المائدة {وآية منك}. فنزول الآيات شيء، ونزول الملائكة شيء آخر، والأول حق والثاني لا يحق لأحد سؤاله ولا انتظاره إن أراد نفع نفسه. فحسبه ما أنزله الله من آياته.

...

{وكيف تكفرون وأنتم تُتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله} فالرسول واحد والأمّة كثير وهو يتلو عليها آيات الله. لكن بالنسبة للرسول نفسه قال {تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق} فقال {نتلوها} بجمع التاليات وليس "أتلوها عليك"، فالرسول واحد لكن الذين يتلون عليه آيات الله هم كثير، ويعزز هذا "ن والقلم وما يسطرون" بجمع "يسطرون"، ويثبته قوله "تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر"، فالذي تنزّل الملائكة والروح وهم كثير على واحد هو النبي بإذن ربهم الواحد، فالرب الواحد سبحانه بإذنه فوق الملائكة والروح وهم كثير، ثم هم كثير فوق النبي الواحد، ثم النبي الواحد فوق الأمّة وهم كثير. من واحد إلى كثير، ثم من كثير إلى واحد، ثم من واحد إلى كثير، والمقصد إرجاع الكثير إلى الواحد لذلك قال {وأنتم تُتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومَن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم} فوحّد المقصد من التلاوة والرسول بقوله {ومَن يعتصم بالله} فرجع الأمر إلى الأول المتعالي سبحانه. ولذلك قال بعد ما ذكر {تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلماً للعالمين. ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله تُرجَع الأمور}.

فالواحد تعالى أذِن للملائكة والروح بالتنزّل من كل أمر على الرسول، وأمر الرسول بأن يتلو آياته ليخرج الناس بإذنه إلى صراط العزيز الحميد. إذن الله ما بين الله والملائكة، وما بين الملائكة والرسول "أو يُرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء"، وما بين الرسول والناس "لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم"، وما بين الناس والرجوع إلى ربهم "وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله". فلا نزول ولا عروج إلا بإذن الله. ووسيلة النزول والعروج هي آيات الله،

فكلامه نزل إلى الملائكة والروح "فأرسلنا إليها روحنا"، ونزلت الملائكة والروح بآيات الله على الرسول "تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق"، والرسول يتلو آيات الله على الناس "وأنتم تُتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله"، والناس يتلون آيات الله للتقرب إلى الله "اقرأ باسم ربك" و "من أهل الكتاب أمّة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون" و "إذا قُرئ القرءان فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تُرحمون". الحاصل: من الله الإذن والآيات، نزولاً وعروجاً، للروح والملائكة والرسل والناس أجمعين. إله واحد، إذن واحد، آيات واحد، من الواحد إلى الواحد.

...

{ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} هذا الأمر، {ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات} ثم سمّى هؤلاء كفّارا في قوله بعدها {أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون}. فالأمّة الداعية الآمرة الناهية عليها أن لا تكون كافرة، أي كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات، وهم الذين قال فيهم "إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء"، وهم الذين اتبعوا غير آيات الله وغير الرسول، فتفرّقوا لاتباعهم غير الرسول واختلفوا لاتباعهم غير آيات الله. فالرسول يوحّد ظاهر الناس وآيات الله توحّد قلوب الناس "لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم". آيات الله سماوية، الرسول أرضي، فسماء القلوب تتوحد باتباع آيات الله، وأرض الأجسام تتوحد باتباع رسول الله. وبذلك تكون {خير أمّة أُخرجت للناس}.

...

سألت عن كيف تردّ على زوجها السلفي الذي يعارضها بسبب خلوتها ويعتبرها مهملة للبيت والبنات فقلت:

حجة الخلوة

"واعدنا موسى أربعين ليلة"

و "اذكر اسم ربك وتبتّل إليه تبتيلا" فالتبتل هو الانقطاع التام.

و"فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته" وهي الخلوة الجماعية مع المؤمنين وإن صدقت بالتبع على خلوة الفرد.

وكذلك الاعتكاف "وأنتم عاكفون في المساجد".

ومن الرواية، طبعاً خلوة النبي في غار حراء وهي مشهورة.

المهم لا تهملي شؤون بيتك، وافعلي ما تشائين بعد ذلك.

...

(نشرت اليوم الحمد لله ترتيب فتحه الله لي في سور القرءان وكتبت مع البريد الرسالة الآتية)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
هذا ترتيب لسور القرءآن مبني على ترتيب السور من الأكثر عدد آيات إلى الأقلّ عدد آيات، ثم تقسيم السور بالترتيب على سبعة أيام، وهكذا تنازلاً، بحيث تقرأ في كل يوم سورة طويلة ثم أقصر منها ثم هكذا تنازلاً إلى سورة من قصار السور، وكذلك كل يوم.

الترتيب كالتالي:
يوم الأحد: البقرة، طه، يوسف، النمل، الرحمن، النجم، فصلت، النازعات، القيامة، السجدة، نوح، المزمل، الطارق، الجمعة، التين، المسد.
يوم الاثنين: الشعراء، التوبة، الإسراء، الزخرف، الفرقان، الروم، الشورى، فاطر، محمد، الملك، الغاشية، البلد، الشمس، العاديات، التكاثر، الفيل.
يوم الثلاثاء: الأعراف، النحل، الكهف، القصص، الأنفال، الذاريات، إبراهيم، ق، الجاثية، الفجر، الانشقاق، الانفطار، الصف، الضحى، الشرح، الفلق.
يوم الأربعاء: آل عمران، هود، يونس، ص، الزمر، الدخان، القلم، المعارج، المطففين، الحديد، الحشر، الأعلى، الممتحنة، القارعة، الماعون، قريش.
يوم الخميس: الصافات، المائدة، الحجر، غافر، الأحزاب، المدثر، الحاقة، الرعد، الأحقاف، الفتح، المجادلة، العلق، الطلاق، الهمزة، الكافرون، النصر.
يوم الجمعة: النساء، المؤمنون، مريم، يس، العنكبوت، القمر، المرسلات، عبس، لقمان، التكوير، البروج، الحجرات، التحريم، البينة، الناس، العصر.
يوم السبت: الأنعام، الأنبياء، الواقعة، الحج، النور، سبأ، الطور، النبأ، الإنسان، الجن، الليل، التغابن، المنافقون، الزلزلة، القدر، الكوثر.

تنبيه: كل يوم يبدأ بقراءة سورة الفاتحة، ثم ١٦ سورة بالضبط في كل يوم ثم تختم بسورة الإخلاص.

يمكن لمن يصلي الصلوات الخمس المعروفة، أن يقرأ بسورة في كل ركعة، ويصلي الوتر، فهذه ١٨ ركعة فيقرأ ورد اليوم في ركعاته اليومية. أو مَن يصلّي النوافل بالركعات كقيام الليل، فيصلي بسورتين في كل ركعتين أيضاً. هذه اقتراحات خطرت لي،

لكن المهم هو أنها ختمة تدريجية تنازلية في العدد فتناسب راحة النفس فتقرأ في أول الأمر بالسورة الأكثر عدداً ثم تنازلياً مع جهدك المتناقص، وكذلك سيتناقص العدد مع الأيام، فمثلاً في يوم الأحد ستقرأ 1024 آية، ثم يوم الاثنين 944 آية، ثم يوم الثلاثاء 913 آية، والأربعاء 893، والخميس 845، والجمعة 823، وتختم السبت 783 آية. فيومياً تبدأ بالأكثر إلى الأقلّ، وأسبوعياً تبدأ بالأكثر إلى الأقلّ حتى تسبت وترتاح يوم السبت.

...

التلاوة الصالحة من ثلاث خطوات: تأخذ النَّفَس وأنت مستشعر لأخذ الروح من رحمة الله، ثم تتلو الآية وأنت تُخرِج النَّفَس ببطء ثم تقنت وتصمت وتنصت لما يفتحه ربك عليك. ثم تأخذ النَّفس من جديد، وتتلو الآية التي بعدها، وهكذا.

...

الله أذن للملائكة والروح بالتنزّل على النبي، ثم النبي تلا الآيات على الأمّة، فالأمّة في مقام الملائكة والروح أي في مقام الملأ الأعلى بالنسبة للرسول، فمَن هو النبي بالنسبة للأمّة؟ هو الإمام وأولي الأمر منهم، لذلك قال {وأمرهم شورى بينهم}. فالأمّة بإذن الله تختار الإمام وتقيّد أمره كما أن الملأ الأعلى بإذن الله تنزّلوا على الرسول. لذلك إمام الصلاة تابع لأمر الجماعة ولابد أن يحبّوه، ومَن صلّى إماماً بأناس وهم له كارهون فهو ملعون على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم. كذلك أي إمام في هذه الأمّة لم ترضاه الأمّة لنفسها بالشورى العامّة بين المستجيبين لله والذين يقيمون الصلاة، فهو ملعون. قال الله {والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم} فالاستجابة والإقامة يجعلان الإنسان من أهل الشورى. بالاستجابة صار موحداً مُسلماً لله، وبالإقامة صار عاقلاً لكتاب الله، فصار بذلك أهلاً للشورى في "خير أمّة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله".

...

لا تصدّق وهابياً أو مُصاباً بلوثة السلفية، لا في نقل ينقله ولا في حكم يُطلقه، حتى تتأكد وتنظر بنفسك وتراجع، فإنهم قوم بُهت وكذب وتحيّز شديد وبغيض لا يبالون ما قالوا ما وافق هواهم ولائم حكّامهم كأصل عام، فضلاً عن عدم توفيقهم بشكل عام وخلوّهم من بركة الروح ونعمة الإلهام للصواب.

...

يعيب الوهابية على الصوفية اعتمادهم على رؤيا الأولياء في أمور الدين، وبعض غير الوهابية له مثل هذا المطعن أيضاً، ويعتبرون مقالة "الرؤيا ليست مصدراً للتشريع" أمراً مطلقاً صحيحاً.

حسناً، اقرأ هذه الرواية التي في مسند أحمد والتي رواتها ثقات وأئمة وصلحاء عند أهل الحديث بشكل عام {عن أبي سعيد الخدري أنه رأى رؤيا أنه يكتب ص (يعني السورة) فلما بلغ إلى سجدتها قال رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجداً قال فقصّها على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها بعدُ}

واقرأ شاهداً آخراً وهي رواية حسنة في الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس قال {جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أُصلّي خلف شجرة فسَجَدَتُ فسَجَدَت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول "اللهم اكتب لي بها عندك أجراً وضع عني بها وزراً واجعلها لي عندك ذخرا وتقبّلها منّي كما تقبّلتها من عبدك داود". قال ابن عباس: فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم سجدةً ثم سجد فقال ابن عباس: فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة}

أقول: في الرواية الأولى عن أبي سعيد الخدري الصحابي المشهور، يرى رؤيا فيجعل النبي رؤياه سبباً لسجدة قرآنية، وذلك بسبب تصرّف الدواة والقلم و{كل شيء بحضرته} يفعل ذلك. في الرواية الأخرى لم يعرّف ابن عبّاس الرجل ومع ذلك صدّق النبي هذا الرجل المجهول الاسم لنا في دعواه أنه رأى الرؤيا ثم صدّقه في نقل محتواها ثم عمل النبي بحسب ما قامت به تلك الشجرة التي في رؤيا هذا الرجل المؤمن المجهول لنا، و{وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة} فإذا كان أخذ الذكر من شجرة في رؤيا مؤمن مغمور أمراً صالحاً من عمل النبي بشهادة ابن عباس، وإذا كان أخذ السجدة من دواة وقلم وأشياء أخر بحسب رؤيا الخدري، فذلك قول وهذا فعل، وكلاهما من الشرع والعمل التعبّدي الديني، إذ كلاهما سجود متعلّق بالقرءان وذكر لله في سجود القرءان، فكيف يُقال بعد ذلك بأن أخذ أقوال وأفعال ليس الدواة والقلم والشجر بل أهل الإيمان والتصديق بالله ورسوله وكتبه من الصالحين هو من البدع الغريبة والأمور الشنيعة والدخول في "الخرافات والرؤى" كما يزعم هؤلاء الذين تسرّب إليهم النفاق أو انغمسوا فيه غمساً.

مردّ ذلك إلى القرءان. إبراهيم بنى على رؤيا ذبح ابنه، ولا تقول "لكن رؤيا الأنبياء حق" فحتى المؤمن رؤياه قد تكون حقّاً كما أخذ النبي هذه الرؤى وصدّقها وعمل بمقتضاها وكذلك جعل النبي الرؤيا الصادقة جزءاً من النبوة وأثبت استمرارها في الأمّة فهي من النبوة المستمرة غير المنقطعة حتى على قول القائلين بانقطاع النبوة. وكذلك رؤيا يوسف كانت حقّاً بالرغم من أنه لم يكن نبياً حينها بالمعنى التشريعي المعروف، ويعقوب قال له "كذلك يجتبيك ربك" وليس "كذلك اجتباك ربك" فلم يحدّثه عن اجتباء حصل بل اجتباء سيحصل ويعزز هذا قول الله "ولمّا بلغ أشدّه آتيناه حكماً وعلماً".

كم من مقالة مشهورة في الأمّة وهي باطلة بحسب كتاب الله، بل والعجيب أنها باطلة أيضاً بحسب المروي عن النبي والمهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بإحسان ممن سبقنا بالإيمان.

...

{غير المغضوب عليهم} هم فرق كثيرة:

١-فمنهم الذين أنعم الله عليهم بصورة ووسيلة فرفضوا الصورة أو رفضوا الوسيلة لأنهم أرادوا صورة أخرى أو وسيلة مغايرة.

أمّا رفض الصورة فقال الله {واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون}، فرفضوا صورة المنّ والسلوى، وأرادوا صورة البقل والقثّاء والفوم والعدس والبصل، فقال {وباؤوا بغضب من الله}.

أما رفض الوسيلة فقال الله {بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين} فرفضوا وسيلة محمد فرفضوا ما جاء من النعمة عبره فقال {فباؤوا بغضب على غضب}.

فقابل نعمة الصورة بكفرها، وقابل نعمة الوسيلة بجحدها، بدلاً من أن يتنعمّ بالصورة وينتفع بالوسيلة.

٢-ومنهم قاتل المؤمن متعمداً. قال الله {ومَن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤهم جهنّم خالداً فيها وغضب الله عليه}.

فقابل نعمة المؤمن بقتله، بدلاً من أن يكون المؤمن سبباً لحياته الأبدية وسعادته إما بنصرته المؤمن وإما بالانتفاع ببركة وجوده وإما بالاستفادة من قوله وفعله وحاله.

٣-ومنهم الذين يتبعون آباءهم ويكذّبون بآيات الله التي يرسلها في عصرهم. كما قال القوم لرسولهم {أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين. قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان}.

فقابلوا نعمة الآيات الحيّة والرسول الحي باتباع الجهالات والأباطيل والسلف الجاهلين.

٤-ومنهم عبّاد العجل، أيا كانت صورته، ولكل أمّة عجلها. قال موسى {إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم}.
فقابلوا نعمة الحرية من الطاغوت بصنع طاغوتهم الخاص وتعبيد أنفسهم له.

٥-ومنهم مَن يتولّى ويفرّ في القتال. قال الله {ومَن يولّهم يومئذ دبره إلا متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير}.
فقابل نعمة نصرة أمر الله أو نعمة الشهادة في سبيل الله بالفرار منها.

٦-المرتدّ عن دينه طوعاً من نفسه بغير إكراه. قال الله {مَن كفر بالله بعد إيمانه إلا مَن أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن مَن شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله}
فقابل نعمة تولي الله له بإخراجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بالارتداد إلى الظلمات بعد النور.

٧-الطغيان في الرزق. قال الله {كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي ومَن يحلل عليه غضبي فقد هوى}
فقابل نعمة الرزق بجعله سبباً لتجاوز حدود الله.

٨-إخلاف موعد رسل الله. قال موسى {أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي}.

٩-الكاذبة في يمين البراءة من الزنا بعد حلف صاحبها. قال الله {والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين}

١٠-الذين يحاجّون في الله بعدما استجيب له، قال فيهم {حجّتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب}

١١-الذين يظنون بالله ظن السوء من أهل النفاق وأهل الشرك، قال {ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم}

كما ترى، على الأقلّ إحدى عشرة فرقة ممن غضب الله عليهم. فانظر أين هذا ممن يقرأ {غير المغضوب عليهم} ويقول بحسب رواية "اليهود" ! والسلام. الرواية كثيراً ما تكون عائقاً أمام فهم كتاب الله والإيمان به والعمل به. لا يخفى على لبيب لماذا حرّفوا معنى {غير المغضوب عليهم} وصنّموه على فئة لم ينصّ الله ولا في آية من التسع عشرة آية التي ورد فيها ذكر الغضب في القرءان أنها هي المغضوب عليهم أو حتى أنها محلّ الغضب حصراً، والآيات الواردة في بني إسرائيل ليست نصّاً في اليهود وقطعاً ليست تدلّ على المعروفين اليوم بأنهم " يهود" نصّاً حصرياً. إنما هي معاني قرآنية، مَن تحقق بها غضب الله عليه، وإلا فلا. كان مَن كان. فحين تجد مثلاً كمّية المؤمنين الذين قتلهم عمداً "ولاة الأمر" عبر القرون وإلى اليوم ولا تجد المسلمين تهتزّ لهم شعرة في كل مرّة يقرأون {غير المغضوب عليهم}، ولا يغيّرون ما هم فيه وقد جاء أمر من الله يقول {لا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم}، فحين تعرف أن قاتل المؤمن متعمداً لا يجوز تولّيه، أو تقرأ الغضب على عبّاد العجل ثم تعرف أن أحد مظاهر العجل هو المال (كما في رواية "عجل أمّتي الدينار والدرهم"، وأصل إشارته ذكر "زينة القوم" في الآية كمادة صنع العجل وكذلك ذكر استعجال الطيبات في الحياة الدنيا واعتبار الدنيا كلّها " عاجلة" وما أشبه) ثم ترى أن عبادة عجل المال صار أمراً عادياً جدّاً حتى صار قتل كل مفصح عن الحق في سبيل الدنيا أمراً مبرراً لا يطرف له جفن بحجّة "الحفاظ على المصلحة العامة" أو الكفر بالدعاة إلى الله وكتابه وقطع أرحامهم لأنهم سيعكّرون عليهم دنياهم في حال تولّوهم وآمنوا بهم ونصروهم كما هو مقتضى الدين، هذا وغيره صار كلّه لا يُعبأ به ولا يُستَشعَر أصلاً حين يقرأ مئات الملايين ليل نهار {غير المغضوب عليهم}، لماذا؟ لأن المغضوب عليهم هم اليهود ! ونحن لسنا يهود بحمد الله، فانتهى الأمر. فماذا عن تسعة عشر آية تبيّن غضب الله وشؤونه وأحكامه؟ كلّها يُضرَب بها عرض الجدار، من أجل رواية عدي بن حاتم التي في كتاب الترمذي، وما شاكلها، والمشكلة أنه ولا هذه الرواية تقول بحصر معنى المغضوب عليهم في اليهود بل فيها {اليهود مغضوب عليهم}، حسناً "مغضوب عليهم" وليس "المغضوب عليهم" حصراً، بل هم فئة من فئات المغضوب عليهم، لكن تأتي رواية أخرى في مسند أحمد عن عبد الله بن شقيق {أنه أخبره مَن سمع النبي} مجهول في هذه الرواية، {وسأله رجل من بلقين} مجهول ثاني، {فقال يا رسول الله مَن هؤلاء قال "هؤلاء المغضوب عليهم" وأشار إلى اليهود} مجهول يحكي عن مجهول عن إشارة النبي إلى أناس وليس في نصّ كلامه ذلك، فحصروا الأمر فيهم. من أجل هذا وأمثاله يُترَك كتاب الله بآياته البيّنات المُبيِّنات المُبيَّنات، ويصبح من المعتاد أن تسأل العامّي في الشارع "مَن المغضوب عليهم في الفاتحة التي

تقرأها؟" فيقول لك بلا تفكير "اليهود"، لكن تسأله "فماذا عن أميرك الطاغية الذي قتل عشرة آلاف مؤمن عمداً من أجل الدنيا؟" فيرميك بأنك من الخوارج دعاة الفتنة !

إذا قرأت الرواية فافترض أنها تريد معارضة شيء في القرءان،حتى يثبت العكس. لأن الذي وضعها لم يضعها إلا وهو يريد تغيير شيء في كتاب الله بشكل أو بآخر. فكل رواية مُدانة حتى تثبت براءتها قرآنياً أو عقلياً.

فماذا عن {ولا الضالين}؟

المغضوب عليهم جاءتهم النعمة فرفضوها. أمّا الضال فعلى أوجه.

١-{فاذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين} فالضال هو مَن لم تأته الهداية هنا.

٢-{إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تُقبَل توبتهم وأولئك هم الضالون} قد سبق أن الذي يكفر بعد إيمانه هو من المغضوب عليهم، فما الفرق بينه وبين الضال هنا وقد أثبتت الفاتحة الفرق بينهما؟ الجواب في كلمة {لن تُقبَل توبتهم} أي ضلالهم بمعنى أن توبتهم ضالّة، من قوله "ضلّوا عنهم" بمعنى توبتهم ضائعة منسية لا قيمة لها، أو بلفظ القرءآن الحكيم {لن تُقبَل توبتهم}، لأنهم يريدون التوبة كما يبدو من الآية وليسوا كالمغضوب عليهم الذين قال فيهم " شرح بالكفر صدراً" فالمغضوب عليه مرتدّ لا يريد التوبة أصلاً، لكن الضال مرتد يريد التوبة فيضلّ طريقها أو يتوب بطريقة باطلة غير مقبولة. فهم من طرف {ازدادوا كفراً} ومن طرف {توبتهم}، أي في حيرة من حيث أن شيئاً فيهم يريد التوبة لكن الشيء الآخر يزداد كفراً، فتفرقوا في أنفسهم واتخذوا طرقاً غير مقبولة، كقوله تعالى "مَن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبَل منه" فهذا مبتغي لدين وليس رافضاً للدين بالكلية. ففرق بين مَن يعرف دين الحق فيرفضه، ومَن يطلب دين الحق فيضلّ عنه. الأول مغضوب عليه، والثاني ضال.

٣-القانط من رحمة الله. لقول إبراهيم {ومَن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون}. لأنهم ضلّوا عن قدرة الله على كل شيء، إذ موضوع الآيات تبشير إبراهيم على أن مسّه الكبر فاستغرب ذلك فقالوا له "بشّرناك بالحق فلا تكن من القانطين". فالجاهل بقدرة الله يقنط من رحمة الله فهو من الضالين، ضلّ عن معرفة ربّه وعن أن يقدره حق قدره.

وهكذا بقية الآيات تشير عموماً إلى قوم لم يكونوا على هدى، لكن التكذيب بالهدى شيمتهم، فكذّبوا بالآيات لمّا جاءتهم وبقوا على ضلالتهم. فكل إنسان ضال حتى يهديه الله، لكن تكذيب

الضال غير تكذيب المغضوب عليه، فالضال تكذيبه عن غفلة لكن المغضوب عليه عن عمد وإصرار مع الاستبصار. هذا وجه.

ولا غرابة بعد أن عرفنا العادة أنه لا توجد ولا آية واحدة تنصّ على تخصيص النصارى بأنهم {الضالين}. بل كلها خصائص موجودة في نصارى وفي غيرهم، وبعضها لا يوجد في نصارى ويوجد في غيرهم مثل إنكار البعث {ثم إنكم أيها الضالون المكذّبون} فهذه في الذين أنكروا البعث وقالوا {أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون}. فإن كان حصر المغضوب عليهم باليهود أمراً قد يقال بأن فيه شبهة من شبهة دليل قرآني، فإن حصر الضالين في النصارى يريك بأن المفترين على الله ورسوله لا يعرفون حدوداً.

...

قل هذا لعبيد الدول الملكية الأسرية والعسكرية، خصوصاً عبيد الدولة السعودية الطاغية الظالمة، ممن يزعم أنه من أتباع السلف الصالح ويخاف الفتنة، لعنهم الله وسوّد وجوههم.

هذا في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه قال لقوم {وليس كقتالكم على المُلك} وبيّن بقوله {وأنتم تريدون أن تُقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله}.

يشير إلى رجل احتجّ عليه بآية {قاتلوهم حتى لا تكون فتنة} وذلك فيما وقع بين عبد الله بن الزبير وبني أمية. فقال له {قاتلنا حتى لا تكون فنة وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله} وقال أيضاً {إنما كان محمد يقاتل المشركين وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على المُلك}.

يعني ماذا؟ يعني القتال على المُلك هو عين الفتنة وصيرورة الدين لغير الله، طبعاً، لأنه في المُلك يُصبح الدين للمَلِك وجنوده وعبيده، وهي الفتنة الحقيقية. وهذا بالضبط ما شرّعته المذاهب التي أقرّت حكم المتغلّب بالسيف، أي شرعنت القتال على المُلك بحكمها بشرعية المتملّك لرقاب الناس بالقتل والعنف. ثم إذا أعلن شخص رفضه لفتنتهم هذه ودينهم الذي صار لغير الله يقولون له "أنت ساعي فتنة ! أنت موقظ فتنة !" ...يزعمون خوف الفتنة "ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنّم لمحيطة بالكافرين".

...

(محامد الأسبوع)

الحمد لله من الأزل إلى الأبد،

الحمد لله الأحد الصمد.

الحمد لله كما حمده أحمد،

الحمد لله كما يحمده محمد.

الحمد لله الذي عنايته بي سابقة،
الحمد لله الذي نعمته عليَّ سابغة.

الحمد لله رب العالمين،
الحمد لله رب العزة والعرش والسماء والأرض ومَن فيهن أجمعين.

الحمد لله رب الروح والملائكة،
الحمد لله رب الرسل والجنود الغالبة.

الحمد لله مُنزل القرءان ذِي الذِّكر،
الحمد لله الذي له الخلق والأمر.

الحمد لله الخلّاق الذي لا يمسّه لُغوب،
الحمد لله الذي بذكره وحده تطمئن القلوب.

...

نقلت عن زوجها لي، وقد أخبرتها أن تنقل لي، أني وأخي وبعض أصحابنا (لا أحد منهم في صلب الطريقة معي لكنها صحبة دراسة قرءان وأخوة الإيمان)، قال بأننا ندعي النبوة.

فقلت: ابعثي له كتابي "النبوة المستمرة" ليقرأه إن شاء. وكذلك لو كنّا ندّعي النبوة بالمعنى الذي في رأسه، فلماذا نقرأ القرءان وندلّ الناس إلى الرجوع إليه إذن. النبي له معاني كثيرة، حتى في الحديث الصحيح أن الرؤيا الصالحة جزء من النبوة، وكذلك الذي يقرأ القرءان "اندرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه"، هم يتخيّلون الأنبياء بمعنى غير قرآني ولا حتى روائي صحيح ولا واقعي يوافق سنن الله في العالَم، ولذلك ينكرون على مَن ينكرون عليه.

الذي يعرف الطب ويمارسه فهو طبيب، الذي يعرف الهندسة ويمارسها فهو مهندس، والذي يعرف علم النبوة ويعقلها ويؤمن بها ويبلغها فهو "نبي" بمعنى أنه يعطي الأنباء "يا ءادم أنبئهم بأسمائهم". والقرءآن أنباء "ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر. حكمة بالغة" وقال الله في الحكمة "يؤتي الحكمة مَن يشاء" فهو أمر مفتوح إذن. بهذا المعنى "نبي" اسم مستمر.

...

(من آل عمران ١٣٣-١٣٦)

هذا المقطع فيه ذكر للطريق إلى المغفرة والجنّة، والطرق إلى الجنّة كثيرة وكلّما ذكر الله شيئاً ووعد عليه الجنّة فهو طريق من طرقها. هذا المقطع فيه ذكر لأربعة أمور، والرابع مفصّل إلى أربعة أجزاء، مَن جمعها فجزاؤه عند ربه هو المغفرة والجنّة.

الأمر الأول {الذين ينفقون في السرآء والضرّآء} فحين ينفقون في السراء ليس لأنهم في حالة سرور لكن لوجه الله بدليل أنهم ينفقون في الضراء أيضاً، لأن بعض الناس ينفق إذا كان مسروراً من باب النشوة النفسانية فيعطي من كلامه وأمواله للناس بسبب ذلك السرور حصراً. في المقابل ينفقون في الضراء ليس لأنهم في حالة ضر ويريدون الخروج منها فيتصدقون على الفقراء من باب التقرب إلى الله لإخراجهم من الضر الذي هم فيه، بل ينفقون في الضراء لوجه الله بدليل أنهم ينفقون في السراء حين لا توجد تلك الحالة السيئة التي يتوسّلون إلى الخروج منها بالإنفاق، كمثل الذي يمرض فينفق أو يخاف على ولده من الموت فينفق ونحو ذلك. فهذه الآية تبيّن أن إنفاقهم منبعث من وراء عواطفهم، من أمر أعلى من مشاعرهم، لذلك جمعوا بين الضدّين {في السراء والضراء}، ولا تستطيع أن تجمع بين الضدّين إلا إن كنت في مقام وحدة أعلى منهما، ولذلك الله تعالى "هو الأول والآخر والظاهر والباطن" لأن هويته أعلى من الزمان والمكان والأشياء والأحوال والأسماء والاعتبارات، لأنه أعلى من كل شيء فقد جمع كل شيء، لأنه الواحد المتعالي عن الأضداد جمعت ذاته الأضداد، لأنه الوجود المحض الذي لا ماهية له بالذات ولذلك كل الماهيات تابعة له "لله المشرق والمغرب" لأن نور وجوده "لا شرقية ولا غربية". من مصادر إنفاقهم قوله تعالى "وفي أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم" ففي مال الآخرة يعني العلم النبوي يرون في الأجوبة التي علّمهم الله إياها حقّاً للسائل عنها، ويرون في البينات التي فهمهم الله إياها حقّاً للمحروم الذي لا يُحسِن حتى السؤال عنها. وفي مال الدنيا أيضاً حق معلوم، يبدأ من "يسألونك ماذا ينفقون قل العفو" أي ما زاد عن حاجتهم وهم ينفقونه في الأمور التي إثمها أكبر من نفعها أو يحتملون ذلك فإنفاقهم على نحو لك والإسراف يدلّ على أنه عفو زائد عن حاجتهم، وقد يكون نسبة معينة من كل ما يفيض عن حاجتهم أو من دخلهم "آتوا حقّه يوم حصاده" كقوله "فلله خُمسه" في الغنيمة.

الأمر الثاني {والكاظمين الغيظ} الغيظ طعمه مُرّ، لذلك تلفظه النفس وترغب في طرده إلى الخارج، إمّا إلى مَن أغاظك وإما إلى غيره كأن يغيظك شخص فتكظم عنه هو لكن تلفظه في وجه آخر إما لرغبة أو رهبة عندك للذي أغاظك وهو ظُلم مضاعف لأنك تظلم نفسك بعدم كظم الغيظ وتظلم الغير الذي لم يغيظك. الآن، "إن الله يأمر بالعدل والإحسان"، فهل من العدل أن تكظم الغيظ؟ إذا تسبب إنسان بإغاظتك أليس من العدل أن تلفظه في وجهه؟ فلنفرض أنه

ليس عدلاً، لعله من الإحسان؟ أين الإحسان في أن تبتلع غيظك فتتجرّع مرارته في نفسك بدلاً من إطلاقه للخارج؟ الجواب: إذا أطلقت الغيظ فإنك لن ترتاح نفسياً، جرّب ذلك إن شئت وتأمل تجاربك الماضية فيه، ستجد نفسك تحترق ولعلها تحترق أكثر بسبب إطلاقه، ثم مضاعفات الإطلاق والفعل وردّ الفعل والآثار السيئة ستكون عوامل إحراق ومرارة أيضاً. فأنت بين واحدة من ثلاثة احتمالات مع الغيظ: إما أن تكظمه وهو الأمر القرآني والإرشاد الرباني الحكيم، وإما أن تطلقه على مَن أغاظك، وإما أن تُطلقه على مَن لم يغيظك سواء كان بشراً أو حيواناً أو حتى ما يبدو لك جماداً. الثالث ظلم صريح فلا يجوز حتى الاقتراب منه. إذا أطلقته على مَن أغاظك لن تشفي نفسك لأنك ستحرقها بالهبوط إلى هذا المستوى من التعبير والغضب وقد تتفاعل الأمور بنحو أسوأ بعد ذلك، وكذلك وهو الأهمّ أنه لا أحد يستطيع أصلاً أن يغيظك بدون أن يكون في نفسك شيء يسمح بنشوء الغيظ فيك وبهذا الشيء الذي فيك والذي قد تغيّره يكون من العدل أن تكظم غيظك، فهذا مثل القول السيء، فإنه لا يوجد قول سيء مطلقاً بدون أن يكون في عقولنا نحن شيء يسمح بترجمتنا له بالسوء، فبهذا القدر يصبح عدلاً ترك القائل والتركيز على النفس والقائل الله حسيبه. وأما الإحسان، فإن المقطع محل الدراسة الآن يبدأ بقوله تعالى "سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة" فتجد الإنفاق يوازي "مغفرة" أي كما تريد من ربك أن ينفق عليك ستره وعطاؤه "استغفروا ربكم إنه كان غفاراً. يُرسل السماء عليكم مدرارا" فعليك أن تنفق أنت، وكما أنك تريد من ربك أن لا يعاقبك حين تخطئ فكذلك عليك أن تكظم غيظك فإن {والكاظمين الغيظ} توازي "ربكم"، وهذا أهمّ ما في الأمر وما يبرره، فإن عدم كظم الغيظ فيه شائبة دعوى ربوبية من نفسك، فالأحسن ترك المعاقبة لله والأخذ بالكظم من أنفسنا، هذه تجربتي أيضاً في الموضوع وشهادتي بالرغم من أني كنت ممن يعتبر العدل إطلاق الغيظ في وجه مَن أغاظك. أما مرارة الكظم، فأُلهمت أثناء قراءة هذه الآية وفهمها عبر ربطها بكلمة "ربكم" التي توازيها في بيان الحكمة بين الآيتين، أُلهمت قول "ربي الله، إني عبد الله" إذا شعرت بالغيظ، حتى أُذكّر نفسي بذلك، وكذلك هما من أذكار القرءان عن النبي والمسيح ففيهما حلاوة القرءان وجمال الذكر مما يخفف من مرارة الكظم، ثم خطر لي أن أقرأ الفاتحة حتى أخلطها مع الغيظ وأشربه كالدواء النافع للنفس بالرغم من مرارته، فإن الله لم يكن ليأمرنا بما لا ينفعنا، وقد جعل {والكاظمين الغيظ} طريق "أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين".

الأمر الثالث {والعافين عن الناس} هذه في ما يتعلّق بالحقوق الشخصية وعواطفك النفسانية، وإلا لكان قوله تعالى "أشدّاء على الكفار" مختلفاً معها وليست كذلك فالقرءان واحد. العفو فيما يتعلق بأمور الشخصية، أما القتال والشدة والمجاهدة ونحو ذلك فتتعلّق برفع

الإكراه في الدين من الأرض وإرجاع حقوق الناس لهم وما أشبه. ذُكر العفو في آخر سورة البقرة "واعف عنا" وهذه الكلمة توازي "ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا"، فقد وردت ثلاثة أدعية تبدأ بـ "ربنا"، ثم ثلاثة أسئلة "اعف عنا واغفر لنا وارحمنا"، وكل واحدة من الأسئلة موازية لكل واحدة من الأدعية، وبناء على ذلك يكون العفو عن الناس أساسه حين ينسى الناس أو يخطؤون، فالنسيان قصور في العقل، والخطأ قصور في الإرادة، والإنسان لأنه عبد مخلوق فعقله قاصر وإرادته قاصرة بالضرورة إذ الله وحده "ما كان ربك نسيا" والله وحده "بل نقذف بالحق على الباطل"، فالله وحده كامل العلم والإرادة، وأما العبد فدون ذلك، فأمر الله بالعفو عن الناس حتى يعفو هو عنّا. هو خلقهم وهو ربهم، فإن نسوا أو أخطأوا يريد أن يدافع عن صنعته سبحانه وتعالى فأمرنا بالعفو لأنه لا مجال للخروج من قصور العقل والإرادة في المخلوق مطلقاً لأنه من المستحيلات لا أقلّ في الدنيا. كما أن الدنيا سيكون فيها أهل الصدقات كالفقراء والمساكين وكذلك الأيتام وابن السبيل وما أشبه، فأمر بالإنفاق مطلقاً. وكما أن اختلاط الناس وهم أهل نفوس وأهواء ومقاصد مختلفة سينشأ عنه بالضرورة نوع من الغيظ في النفوس فدلّ على الكظم. وكذلك سيوجد من الناس نسيان وخطأ بالضرورة، فأرشد إلى قيمة العفو وأمر به. وفي هذه الثلاثة ختم الآية بقوله {والله يحب المحسنين} يعني الإحسان في الثلاثة السابقة. فتنفق بدون مَنّ ولا أذى وترى الله هو الذي يأخذ الصدقة ليربّيها لك وتبتسم في وجه مَن تعطيه وترى له الفضل عليك في قبولها منك لأنه أخذ منك الفانية وأعطاك الله به الحسنة الباقية. وتكظم بدون أن تعبس ولا تشتم ولا تغضب ولا تتذكّر الغيظ الماضي إن جاء غيظ جديد بل تقول كلاماً حسناً وتفرح بفضل الله عليك أن جعلك من الكاظمين الغيظ وتستبشر خيراً. وكذلك في العفو تُحسن فيه بتنبيه الناسي بلطف وتصويب المخطئ برفق، إخباره بأنك أيضاً تنسى وتخطئ، وما أشبه.

الأمر الرابع المفصّل إلى أربعة أجزاء هو {والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومَن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون}. بدأ بقوله {والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم} فاستعمل أداة {إذا} مما يعني أن غالباً أن ما بعدها سيقع حتماً مثل "إذا جاء نصر الله" فهو سيجيء حتماً، "إذا الشمس كوّرت" فهذا حادث حتماً. ففعل الفاحشة أو ظلم النفس من الأمور التي لن يخلو منها إنسان بدرجة أو بأخرى، ظاهراً أو باطناً، في قليل أو كثير، بقصد أو بغير قصد. الفاحشة من مستوى الخلق الجسماني، والظلم من مستوى الجعل النفساني، هذا اعتبار. فما العمل إذا وقع ذلك منك؟ أوّلاً {ذكروا الله}، فوراً صعود إلى ذكر الله بدلاً من الانحصار في ظلمة الفاحشة والظلم، لأن الله نور وله المثل الأعلى للنفوس المريدة وجهه تعالى فحين تشعر بالظلمة فوراً تذكر

الله بسبب الفرق ما بين النور والظلمة. ثانياً {فاستغفروا لذنوبهم ومَن يغفر الذنوب إلا الله} فالفاحشة ذنب وظلم النفس ذنب، الفاحشة ذنب مع شخص آخر وظلم النفس ذنب مع نفسك، هذا اعتبار. تستغفر وأنت تعلم أن الله يغفر الذنوب ولا يغفرها سواه، لأن فعلك وظلمك صار من الماضي والماضي معدوم بالنسبة للمخلوق الحاضر فلا يستطيع التصرّف فيه إلا الله، كذلك لأن الفاحشة والظلم من أحكام الله وليست من شؤون الطبيعة الدنيوية فقد تكون الفاحشة لذيذة دنيوياً لكنها سيئة أخروياً حيث يكون "الأمر يومئذ لله" الذي هو "مالك يوم الدين" فلا يستطيع أن يغفر إلا مَن يستطيع أن يعذّب ويعاقب وهو الله وحده، كذلك لأن الذنب يضر النفس والنفس لله فهو ربّها فلابد من استغفاره لأنك أضررت بشيء اصطنعه الله له " واصطنعتك لنفسي"، وكذلك لا يستطيع أن يغيّر الذنب إلا مَن يستطيع أن يدخل في نفسك ويؤثر فيها ولا يوجد مخلوق له سلطان على نفس مخلوق آخر وليس ذلك إلا لله الذي "يحول بين المرء وقلبه" و "نعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد". ثالثاً {ولم يصرّوا على ما فعلوا} الذكر ثم الاستغفار، لا يكفيان، بل لابد من عدم الإصرار، وهو أن تقصد بقلبك عدم إيجاد ذلك الفعل، وجذره بالتأمل في جذور فعلك وتغييرها من هناك وأن ترى بدائل أحسن لتحقيق المقصد الجوهري من الفعل. رابعاً {وهم يعلمون} يعني تعلم أن الفاحشة فاحشة، وأن الظلم ظلم، فتسمّى الشيء باسمه وحقيقته وتعلمه على ما هو عليه بحسب ما ذقته في نفسك وكشفه الله لك. فإذا قمت بهذه الأربعة فقد عملت الخير من جميع وجوهه بفضل الله وتوفيقه.

...

{وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم}

يعني جاء بالرسالة التي هي كتاب الله، وبلغكم إياه، والآن عليكم أنتم أن تقوموا به سواء مات محمد أو قُتل. فهو رسول، والرسالة صارت عندكم فقد بلّغكم إياها. أما وظيفة الرسول من حيث كونه موحّد الأمّة، فهذه تنتقل بعد الرسول إلى الإمام الذي يختاره الناس بالشورى بينهم، كقولهم لنبي لهم "ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله" فحددوا مَن يريدون وماذا يريدون منه، وهذا لأن "قلوبهم شتّى" فلم يجتمعوا على الشورى وحكمها فذهبوا إلى نبي لهم ليأتيهم بأمر من عند الله، وكان عاقبة ذلك أن نكص أكثرهم ونبذوا عهدهم بالقتال معه.

فالرسول من حيث التبليغ قد قضى مهمته بوصول القرءان إلينا بحمد الله، والرسول من حيث الإمامة يُعرَف بالشورى وله حدوده بحسب ما يرضاه الذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة.

أما التعلّق بشخص أي محمد، والانقلاب على العقبين إذا مات أو قُتل، فإنما ذلك عمل الذين نبذوا كتاب الله وكفروا بالشورى. {ومَن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي

الله الشاكرين} شكروا نعمة القرءان باتباعه، وشكروا نعمة بيان الشورى وثمرته بطاعة مَن تستقر عليه.

...

يزعم البعض أن "النبي" هو الذي يبعثه الله بشرع إلى نفسه، والرسول هو الذي يبعثه بشرع يبلغه إلى الناس. هذا باطل قطعاً. قرءاناً بل وروايةً. أما في القرءان فذكر مراراً بأن الأنبياء يُقتَلون بغير الحق، ولو كان النبي مَن لا يخاطب الناس ويبلغهم وينبئهم فما الداعي لقتله أصلاً. وفي الرواية "يأتي النبي ومع الثلاثة" أو الرجلان أو ليس معه أحد، أو كما جاءت الرواية، مما يعني أنه بلغ واتبعه البعض وكفر به البعض. وكذلك في القرءان {وكأين من نبي قاتل معه ربيّون كثير} فهو نبي ويقاتل معه مَن يقاتل، فهو مبعوث أيضاً بالقتال وليس فقط بالتبليغ، ولم يكن نبي ليقاتل قبل أن يُبلّغ، ولم يكن أحد ليقاتل نبياً ومن معه إلا لأنه يريد إسكاتهم وجعلهم يرتدوا عن دينهم الذي أعلنوه، ولم يكن نبي ليقاتل إلا لأنه يريد التبليغ فيقاتل مَن يمنعوه من الكلام ونشر البينات بغير إكراه ويكون الدين لله. كل هذه ونحوها أدلّة على أن النبي يبلغ غيره بل ويقاتل عن ما معه أيضاً ويقاتل معه الناس، بل خيار الناس. احذر التعريفات الباطلة للأسماء القرآنية، فإنها من التحريف الخطير الذي لا يشعر به الكثير، وله عواقب وخيمة وعوائق في فهم كتاب الله بل الكفر ببعض آياته. خذ تعريفات الأسماء القرآنية من القرءان واطلب الشواهد القرآنية عليها إن سألت أهل الذكر أو عرضها عليك أحد ممن ينطق بالقرءان أو يدعي أنه ناطق به.

...

{ربنا آتنا في الدنيا حسنة} هذه كقوله {فآتاهم الله ثواب الدنيا} وهم الذين قالوا "ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين"، الذين بيّنهم في الآية التي قبلها "وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين". فقولهم "ربنا" فرع "كأين من نبي قاتل معه ربيون كثير" فآمنوا بالنبي وقاتلوا معه لأنهم أقرّوا بعبوديتهم لله تعالى فآمنوا بنبيه ونصروه. وقولهم "اغفر لنا ذنوبنا" فرع "فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله" لأنهم عرفوا أن الوهن يأتي من الذنوب. وقولهم "وإسرافنا في أمرنا" فرع "وما ضعفوا" لأنهم عرفوا أن الإسراف سبب الضعف. وقولهم "وثبّت أقدامنا" فرع "وما استكانوا" فالاستكانة هي الفرار والهروب واللجوء إلى مغارات حتى لا تواجه العدو بصراحة وعلناً. وقولهم "وانصرنا على القوم الكافرين" دليل "والله يحب الصابرين" فالنصر ابن الصبر.

{وفي الآخرة حسنة} هذه كقوله في الربيين {وحسن ثواب الآخرة}.

{وقنا عذاب النار} هذه كقوله في الربيين {والله يحب المحسنين} مما يعني أن عذاب النار المقصود به ليس النار التي هي ضد الجنّة وإلا فإن قولك {وفي الآخرة حسنة} كافٍ ويدل على الجنّة، كلا، النار هنا هي نار الحجاب عن ربك وحجب حبّه عنك، لذلك قال {فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين} ثلاثة مثل الثلاثة التي في {ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار}. فأشدّ من عذاب النار المضادة للجنّة هي نار عدم محبة الله للنفس حين تعرف أن الله لا يحبّها ويحجبها عنها، والعياذ بالله.

...

الذين لا يدعون الله من أهل الله بحجّة "علمه بحالي يغني عن سؤالي"، يقومون بذلك ليس اعتماداً على هذه المقالة فحسب لكن هذه درجة ثانية من الاستدلال على ما هم فيه، لكن الأصل في عملهم شرعاً هو ما روي في الحديث القدسي "مَن شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين". فالمعنى هنا: القرءان هو أعظم ذكر ودعاء لله، فمن شغله القرآن بدلاً من الأذكار والأدعية غير القرآنية التفصيلية، فلا يحتاج إلى السؤال أصلاً. لكن بما أن القرءان كلّه ذكر الله على التحقيق، فمن شغله ذكر الله كالذكر بالاسم المفرد أو بالتهليل ونحوه، فقد أخذ لب القرءان. ومَن شغله الذكر الوجداني لله بدلاً من الذكر اللساني الذي إنما هو طريق للذكر الوجداني، فقد أخذ لب الذكر اللساني فأغناه عنه. فهنا درجات، أدناها درجة الذكر والدعاء غير القرآني والتفصيلي الشخصي، وفوقها القرءان، وفوقها خلاصة القرءان الذي هو ذكر الله باللسان، وفوقها حقيقة الذكر باللسان الذي هو الذكر بالشهود والوجدان والعيان، فمن شغله هذا الذكر الأعلى عن ما دونه فسيؤتى أفضل ما يُعطى السائلين مطلقاً بنفس ذلك الوعد الإلهي. ثم إن قيل: لكن كيف سيعلم الله ما يناسب حالك إن لم تدعوه تفصيلاً؟ هذا الاعتراض الجاهل يُرَدّ عليه بقولهم "علمه بحالي يغني عن سؤالي". هذا وجه لعمل الأولياء أصحاب الدرجة الرفيعة بفضل الله وتوفيقه.

ثم قولهم "علمه بحالي" يشير إلى العين الثابتة في العلم الإلهي الأزلي، أي كل نفس لها كمالها المطلق بالنسبة لها في العلم الإلهي. ثم خلق الله من هذه العين الثابتة المظهر التكويني والعالَمي لها الذي هو نفس كل ذي نفس ومنها نفس هذا الولي، وخلق الله النفوس حتى تسير وتستكمل قدرها بحسب حالها في العلم الأزلي لكن في صورة الخلق، بالتالي "علمه بحالي يغني عن سؤالي" لأنه الله خلق ليستكمل الأمور كما هي في علمه {والله غالب على أمره}.

...

{ليس لك من الأمر شيء} لابد فيها من التخصيص، لأن "الأمر" مطلقاً ليس منفياً عن الرسول، بدليل "وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" وقال الله "فليحذر الذين يخالفون عن

أمره"، وقال "وكانوا معه على أمر جامع". فلابد من التخصيص، ما هو {الأمر} المنفي عنه هنا وما وجه النفي.

...

سألتني عن برامج الطاقة وتصحيح الشاكرات السبعة وعن كونه يرضي الله أم لا

فقلت:لا أدري عن هذا الموضوع حتى أتكلم فيه.

لكن ما أعرفه هو أنه يوجد فيه نصب مالي كثير. فلا أنصح بإضاعة المال فيه.فالحذر فقط.

أما التعلم فهو خير دائماً. فتعلمي عن كل ما يجذب انتباهك.

...

قالت: بحثت عن سوره عبس عندك ماحصلت ممكن تشير لي اليها كد تكلمت عنها او هي في خيالي جت انك تكلمت عنها.

قلت: مرحبا مها. لا أذكر موضع محدد في كتبي لأدلك عليه، لكن ستجدين في كتبي كلاماً عنها إن شاء الله.

...

قالت: ما رايك في ان تحدثنا عن ماهية الاستغفار؟ هل هو لفظي وقولي.. ام انه كما يذكر البعض ان الامر بالاستغفار منوط بالعمل الجامع له.. اي لايكون قولاً بل فعلاً.

قلت: أصله قول، "قل رب اغفر". لكنه يرتبط بفعل مثل "جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله". أو فعل "أصلح".

...

كنت أقرأ وردي من الأذكار بعد صلاة العصر وأنا أنظر إلى نخلة خارج بيتي وسنجاب فوق النخلة يأكل من تمرها وكأنه في قصر عالي له وحده، فقلت في نفسي "سبحان الذي خلق مثل هذه النخلة وأخرج منها مثل هذه الثمرة" وكنت متعجباً منها كيف تحوّلت من النواة الصغيرة إلى هذه النخلة الكبيرة المثمرة. فقيل لي في سرّي ما معناه "تتعجّب من هذا ! وأعجب منها تحويل الله لكائن من جماد ليذكر اسم الله" يشير إلى المؤمنين الذين يذكرون الله. بعد صلاة العشاء استفتحت واستفتحت صاحبتي القرءان فخرجت لها آية {ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين} وخرجت لي آية {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} فقلت لها ما فُتح لي في العصر من بيان الربط بين الآيتين، وعادة الله معنا الفتح التكاملي بحيث تكمّل آية الواحد آية صاحبه بتوفيقه، فقلت ما معناه: آيتك تشير إلى بدايتنا وآيتي تشير إلى نهايتنا فسبحان مَن بدأ بالطين وانتهى بنا إلى مستوى عقلي ما فوق طبيعي حتى نذكر الله والوحدة الإلهية والأسماء الحسنى وهي أعلى الحقائق الوجودية على الإطلاق.

...
نصحت صاحبي بالزواج فقال لي بأن العائق هو: موضوع القروش.
فقلت: {وأنكحوا..إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم} الرزق يجيك، خلي القروش على رب العروش. {يرزقه من حيث لا يحتسب} كنت محتسب اليوم يجيك شي (أشير إلى مال ساقه الله إليه لم يحتسبه؟) لا. وهكذا الله حيدبرلك، توكل عليه واعمل الي عليك والسلام.

...
(لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل) قولك لله "سمعنا وأطعنا".
(وأرسلنا إليهم رُسلاً) خواطر في نفوسهم تدعوهم إلى الخير وتنهاهم عن السوء.
(كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) بعدما أعطوا ميثاق تقديم الله وأمره الروحي على هوى النفس الجسماني، عكسوا الأمر وقدموا الهوى المادي على الهدى الروحي.
(فريقاً كذّبوا) يأتيك خاطر الحق فتكذبه، تقول بأن هذا ليس من الحق وقوله ليس حقاً، ليس باقتناعك حقاً بذلك لكن لأنه يخالف الهوى.
(وفريقاً يقتلون) تصدّق أنه خاطر الحق ومع ذلك تقتله بعدم تذكّره والعمل بمقتضاه، تقتله بأفكار وشهوات تستجلبها لقلبك حتى تطمس نور خاطر الخير.

كل آيات الرسل والأنبياء أمثال أيضاً لدعاة الله في نفسك وواعظه في قلبك. فانظر كيف تعامل هؤلاء. كأن ترفض خاطراً لأنه بزعمك لم يأتِك بقرءان يقبله الوحي، لكنك قتلت من قبل ذلك خواطر جاءتك بالبينات التي هي أساس القرءان وكذلك بقرءان يقبله الوحي فلم قتلتم إن كنت صادقاً. "وفيكم رسوله" "وفي أنفسكم أفلا تُبصرون".

...
(لتُبلونّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً) البلاء في المال تزكية، وفي النفس راحة، وفي السماع فرصة. أما المال فتتفرغ منه ومن همه ومسؤولياته وحسابه، وأما النفس فترتاح من الدنيا وترتاح من عبء الذنوب التي تُكفَّر عنك به وترتاح من التكاليف المصاحبة للقوة، وأما سماع الأذى من الجاهلين ففرصة لبيان الحق وباب فتحوه لك لقوله وإعلانه بلا قيد لأنهم آذوك فلا تهتم بما سيشعرون به إذا بيّنت لهم وأيضاً هو فرصة لمعرفة اعتراضاتهم وحججهم لردها عليهم وعلى كل مَن يمكن أن تخطر له في المستقبل. البلاء نعمة بل نِعَم مستورة عن أعين المحجوبين مكشوفة بنور الله للمؤمنين الذين يصبرون ويتقون كما قال في تكملة الآية (وإن تصبروا وتتقوا إن ذلك من عزم الأمور) فتصير

مشاركاً لأولي العزم من الرسل في هذه الخصلة. تصبر على صورة البلاء، وتتقي بعمل الصالحات في كل مناسبة بحسبها.

...

{وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه} تبيينه كله، كل ما تبيّن لكم منه تبيّنونه بلا استثناء شيء، تبيين النص وتبيين الفهم الذي آتاكم فيه. فالكلام هنا عن العلماء الذين هم بين الله وبين الناس، فهم ليسوا من عامّة الناس.

{فنبذوه وراء ظهورهم} جعلوا أشخاصهم ظاهرة والكتاب مستوراً تابعاً لهم، فهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم ولا أمامهم. ظهروا بين الناس كأشخاص بدلاً من أصحاب تبيين الكتاب. أصحاب رأي شخصي بدلاً من مجرّد تبيين الكتاب. جعلوا الظهور لهم وليس للكتاب.

{واشتروا به ثمناً قليلاً} الدنيا، استأكلوا باسم الكتاب وهم ليسوا من أهله حقاً لأنهم لم يقوموا بتبيينه للناس مطلق التبيين كما أوتوه. فضّلوا عوائلهم وعشائرهم وطوائفهم وأموالهم ومساكنهم على الهجرة لتبيين الكتاب أو التعرّض للقتل في سبيل تبيين الكتاب.

{فبئس ما يشترون} دنياهم ستكون أسوأ من دنيا أهل الدنيا، وعذابهم فيها أشدّ من عذاب أهل الدنيا الذين هم أهلها فقط.

{ولا تحسبنّ الذين يفرحون ما أتوا} الكلام عن الذين في الآية السابقة، يفرحون بما أتوه من نبذ الكتاب وراء ظهورهم وشراء الدنيا به، يفرحون بتقديم المذاهب على الكتاب ويفرحون بالأموال والشهرة والتعظيم الذي يكسبونه من ظهورهم بمظهر علماء الكتاب وشيوخ الدين.

{ويُحبّون أن يُحمَدوا بما لم يفعلوا} يحبّون أن يحمدهم الناس على أنهم علماء الكتاب وشيوخ الدين، بالرغم من أنهم لم يفعلوا ما يقتضيه ذلك الاسم من تبيين الكتاب وعدم كتمه لوجه الله بدون طلب جزاء أو شكور أو أكل بالدين.

{فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب} العقوبة الأولى، هذه جزاء نبذ الكتاب وراء ظهورهم، العذاب حجاب، وهم حجبوا الكتاب بتقديم أنفسهم ورأيهم على الكتاب، فكما حجبوا كتاب الله بذواتهم سيحجبهم ربهم عن نفسه يوم يقوم الحساب ولن يكلمهم ولن ينظر إليهم.

{ولهم عذاب أليم} العقوبة الثانية، هذه جزاء اشتراء الدنيا بكتم الكتاب، فالدنيا دار حجاب وألم مستمر للجسم بأصل تركيبها الطبيعي "يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون" والألم أساس بواعثها والجاذب الأصلي لكل ما فيها، فلمّا اشتروا بكتاب الروح والآخرة هذه الدنيا التي هي دار الحجاب والألم كان جزاؤهم جزاءً وفاقاً هم العذاب الأليم في الآخرة.

{ولله مُلك السموات والأرض} فليكن الظهور لله بإظهار كتاب الله الذي هو حكمه وأمره ومظهر مُلكه في عالَم الناس الإرادي. لا تفرقوا بين السماء والأرض في أنفسهم فتجعلوا السماء الدينية لله والأرض الدنيوية لأجسامكم أو ملوككم أو أموالكم ونحو ذلك، بل لله كلاهما فاجعلوا لله سماء أرواحكم وأرض أجسامكم واجعلوا كتابه حاكماً فيهما معاً.

{والله على كل شيء قدير} إن لم تُظهروا كتابه اليوم طوعاً سيُظهره غداً كرهاً وستخضعوا كلكم له وأنتم مستسلمون.

...

الذكر الحق يؤدي إلى الفكر، والفكر الصائب يؤدي إلى الدعاء. {الذين يذكرون الله..ويتفكرون في خلق..ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا}.

...

الدعاء أربعة أقسام: اسم وإقرار وتسبيح وسؤال.

وجماع ذلك في قوله {ربنا} فهذا الاسم، وقد يختلف كأن تقول "اللهم ربنا" أو "رب" أو " إنك أنت الوهاب". {ما خلقت هذا باطلاً} فهذا الإقرار بالواقع. {سبحانك} فهذا التسبيح. {فقنا عذاب النار} فهذا السؤال، والسؤال قد يكون طلب إيجاد أو طلب إعدام، وجماع ذلك في سؤال {فقنا} لأن الوقاية تعني إيجاد الوقاية وتعني إعدام ما تريد التوقي منه فهذه الكلمة جمعت السؤال كله بنوعيه.

وترى تفصيل ذلك في باقي دعاء أولي الألباب. {ربنا إنك مَن تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار} لاحظ أنهم ذكروا الاسم {ربنا} لكن ما بقي هو مجرّد إقرار بواقع. تقرير الواقع إما يكون للجاهل حتى يعلمه والله بكل شيء عليم، وإما يكون للغافل حتى تذكّره وما كان ربّك نسياً، فلماذا إذاً يذكرون هذا الدعاء الذي ما هو إلا إقرار بالواقع؟ الجواب: توسّلاً بالحقيقة إلى الحق تعالى. فإن الإقرار بالحق حسنة كما أن جحد الحق سيئة، "وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً" فمن العدل والعبودية لله التسليم بالحقائق الواقعية. فتوسّلوا بذلك إليه تعالى حين قالوا {إنك من تدخل النار فقد أخزيته} فهذا إقرار بواقع، {وما للظالمين من أنصار} وهذا إقرار بواقع ثاني.

{ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان فآمنّا} فهذا إقرار بالواقع، فتوسّوا بإقرارهم ببعث المنادي للإيمان وهم الرسل، وتوسّلوا بواقع إيمانهم، ليقولوا بعدها {فاغفر لنا} فرتّبوا بالفا سؤالهم على إقرارهم. ثم سألوا ثلاثة أسئلة، الأول {فاغفر لنا ذنوبنا} والثاني {وكفّر عنّا سيئاتنا} والثالث {وتوفّنا مع الأبرار}.

آخر دعاء لهم هو {ربنا وءاتنا ما وعدتنا على رُسلك} سؤال أول وهو سؤال إيجاد شيء، {ولا تُخزنا يوم القيامة} سؤال ثاني وهو سؤال إعدام شيء، {إنك لا تُخلف الميعاد} إقرار بواقع، فجعلوا السؤال مقدّما على الإقرار، كما جعلوا في ما قبل لذك الإقرار مقدّما على السؤال. فكل ذلك يصحّ قرآناً.

...

{وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أُنزل إليكم وما أُنزل إليهم} أي نساء. لذلك قدّموا الإيمان بما أُنزل إلينا على الإيمان بما أُنزل إليهم.

...

{كلما رُزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رُزقنا من قبل وأُتوا به متشابهاً} قال بعض إخواننا ممن سبقنا بالإيمان: تشابهت الثمرة واختلفت الطعوم. نقول: نعم وتأويله ذلك في القرءان، فإن الآية الواحدة ذات اللفظ الواحد تنزل عليك في مواضيع مختلفة وأوقات مختلفة فيختلف طعمها في نفسك وفهمها في عقلك بحسب الموضوع الذي تنزّلت فيه، كما قال الآخر " لون الماء لون الإناء" فهذا من تشابه الظاهر واختلاف الباطن، أي اتفاق الرسوم وافتراق الفهوم.

...

ثلاثة شروط لنكاح المرأة: تكون كتابية وتأخذ أجرتها وتكون محصنة غير مسافحة ولا خدن.

أما كتابية فلأن بيت لا يقوم على كتاب الله ولا يُقرأه فيه ولا يُتدارس فيه بين الأزواج والذرية فهو قطعة من النار. فلابد من كتاب الله حتى يكون منزلاً من الجنّة. {أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنّة والمغفرة بإذنه}.

وأما الأجرة فحتى تقرّ في بيتها وتتفرغ لشأنها وأسرتها، فالبيت يقوم على جلب مال من الخارج وإقامة الحال في الداخل، لابد من الأمرين، والأمّ مصدر الرحمة والجمال والترابط بينما الأب مصدر العزّة والجلال والاستقلال، فلمّا أراد إقامة أمّة مترابطة متراحمة ذات جمال وجب تقديم الأمّ على الأب في التربية وجعل الغلبة لها فيه، فالأمّ مركز البيت وليس الأب، ولها ثلاثة أضعاف القيمة بالنسبة للأب فيه على الأقلّ. فالبيت منقسم إلى جزئين بالضرورة، فجعل جلب المال على الرجل واستعمال المال للمرأة.

وأمّا الإحصان فحتى تستقر العلاقة وتذهب المنافسة وتتفرغ العقول لأمر الله وإصلاح الأرض وتُحدد المسؤوليات وتتفصّل الحقوق والواجبات حين تقع الخلافات. وحتى لا تكون المرأة مُستعملة في لصغر للشهوة ومنبوذة في الكبر لانعدام قيمتها الشهوانية.

...

التكاليف ليست فقط جسمانية، بل شعورية أيضاً. وهذا يدلّك على قصور "الفقه" كما هو شائع في الأمّة. فإن ذلك الفقه وهو "قانون" في الواقع وليس فقهاً، ليست فيه أبواب من الأوامر الإلهية الكبيرة والخطيرة بالرغم من ورودها في كتاب الله وبنحو أشدّ وأعظم وأخطر وأكبر وأهمّ من معظم ما ورد في "الفقه" الإسلامي.

مثلاً، يوم أمر يتعلّق بالخوف، أمراً ونهياً، أي شريعة الخوف أو باب الخوف. قال الله {إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين} فهذا الأمر بخوف والنهي عن خوف متعلّق بالإيمان ذاته، وهذا أكبر من معظم أبواب الفقه القانوني ولا نقول فقط مسائله التي لا يترتب عليها إيمان وكفر عادةً. أما شريعة الخوف وحدودها فقائمة على التمييز ما بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن، والتفريق ما بين الكفر والإيمان. مثل "لا تقتلوا" قال {فلا تخافوهم}، ومثل "أقيموا الصلاة" قال {خافونِ}. كلاهما أمر لغةً وشرعاً، وكلاهما من رب التشريع ذاته جلّ وعلا.

كذلك توجد شريعة الفرح. قال {قل بفضل الله وبرحمته فبذل فليفرحوا} فهذا أمر بالفرح بشيء، وقال في أخرى لقارون {لا تفرح إن الله لا يحبّ الفرحين}، فهنا الفرح بشيء منهي عنه قد يجعلك من الذين لا يحبّهم الله وهو مساوي للجحيم بل أشدّ من الجحيم، فأين هذا من مئات بل آلاف المنهي عنها في الفقه القانوني التي لا يترتب عليها لا حب الله ولا عدم حب الله بحسب كتاب الله عادةً.

كذلك توجد شريعة الحزن. قال {لا تحزن عليهم} وقال {لا تحزنوا} فهذا نهي مثل النهي عن أي شيء آخر فهو نهي رباني.

كذلك توجد شريعة الخشية. {فلا تخشوهم واخشونِ} وجعل من علامات المرسلين أنهم {يخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله}.

كما ترى، الشريعة ليست أفعالاً جسمانية فقط، بل هي أحوال نفسانية وأوامر ونواهي شعورية باطنية قلبية. كم من مهتمّ بصورة الصلاة والزنا وشرب الخمر وقطع يد السارق وكأنها كل شيء أو أكبر شيء، وهو في غفلة تامّة عن شرائع الخوف والفرح والحزن والخشية.

...

قال:أو (لعله قصد "أود" وأخطأ) أن أسألك هل لديك كتاب يتكلم عن الفطرة وبرمجتها وسرها ووجودها عندك كل الناس ،كل مولود يولد على الفطرة.

قلت: كتاب خاص لا أذكر. لكن ستجد مقالة في كتب المقالات. وكذلك مواضع متفرقة في بقية الكتب. نصيحتي: اختم الكتب كلها ثم انظر في ما لم تجده فاسألني عنه.

...

لماذا سبعة عشر ركعة في اليوم في الصلوات الخمس التقليدية؟ لأن كل ركعة تقرأ فيها الفاتحة وسورة، فإذا قرأت كل يوم ١٦ سورة، وختمت كل يوم بركعة تقرأ فيها سورة الإخلاص، فالنتيجة ستكون ختم القرءان كل أسبوع مرّة، لأن القرءان من ١٦ سورة ضرب ٧ =١١٢، والفاتحة والإخلاص ١١٤. فتقرأ الفاتحة قبل كل سورة حتى يفتح الله لك بها ويهديك إلى صراطها المستقيم وهو الفهم القويم والعمل السليم بحسب مقتضيات السورة، وتقرأ بالإخلاص مرّة الذي هو مدار وخلاصة القرءان كلّه "إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد".

...

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم {ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها} صلاتك هي قراءتك القرءان، فليس {لك} إلا ما عقلت منها، وأمّا ما لم تعقله منها فليس لك لكنّه عليك لأنه صار حجّة عليك بوصول البلاغ إليك. هذا وجه. والوجه الآخر، {لك} ما عقلت ولله ما لم تعقل وهو الأوسع لأنك لا تعقل إلا بقَدر ما شاء الله لك أن تعقل "ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء" و "فوق كل ذي علم عليم"، فأنت تعقل بقدر "ذي علم" لكن القرءان فيه معاني بقدر الـ"عليم" سبحانه، "لنفد البحر قبل أن تنفد كلمت ربي"، فما عقلته فهو لله أصلاً فتحه لك وما لم تعقله لله مطلقاً فاسعَ إليه، "اقرأ وارتقِ".

...

جميع آيات {إذا الشمس كوّرت} و {إذا البحار فجّرت} ونحوها هي أمثال على التحوّل النفسي من النفس الدنيوية إلى النفس الأخروية. في نفسك مثل ما في الآفاق، وهذه الآيات أمثال على ما في نفسك، فلابد من أن تحدث لك قبل أن تقوم قيامتك وتُبدَّل أرضك وسماءك بأرض وسماء جديدتين أبديتين. القرءان كله جاء من أجل نفسك، لسعادة نفسك، وإلا فالله تعالى لا يغيّره ولا يضرّه كفر مَن في الأرض جميعاً.

ما هي شمسك؟ هي الرؤية الوهمية التي من خلالها تفسّر العالَم والوجود. لكل نفس رؤية مثل هذه ولابد. العالَم كلّه غيب وعدم وظلمة بالنسبة لك وأحداثه لا معنى لها بالنسبة لك إلا بعد أن تضيء شمس فكرتك عليها. قبل القرءان نفسك لها شمس دنيوية، بعد القرءان نفسك سيصبح لها شمس أخروية. مثلاً: مصيبة وقعت لك، لنقل خوف أو جوع. هذه الواقعة مشتركة بين الناس جميعاً، كل النفوس تشعر بالخوف وكل النفوس تشعر بالجوع. فما الفرق بين النفوس؟ الفرق هو كيف ستفسّر هذه الواقعة؟ أنت تشعر بالخوف وأنا أشعر بالخوف، الخوف حقيقة واحدة في الجملة لكن لون الخوف بالنسبة لي غير لونه بالنسبة لك إذا كانت شمسك غير شمسي. قد يفسّر البعض الخوف بأنه ظاهرة كيميائية في الدماغ فحسب، أو بأنه نتيجة الصراع مع الطبيعة التي تريد قتلنا، أو بأنه من تأثير الجن في نفسك، وهلمّ جرّاً. كل كلها

شموس لابد من أن تُكوَّر أو ستُكوَّر قبل قيام قيامتك. فما هي الشمس الجديدة؟ هي شمس {لنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون}، ونحوها من الآيات الكاشفة عن السبب الحقيقي للخوف، مثل "إني لا يخاف لديّ المرسلون. إلا مَن ظلم". القرءان سيعطيك الله به ويخلق لك ببيانه شمساً جديدة، وقمراً جديداً، وسماء جديدة، وثمار جديدة، وهكذا في كل أمورك النفسية الموازية للأمور الآفاقية.

{إذا البحار فجّرت} وعيك بحر، لكنه راكد جامد بسبب خلوّه من الروح. لكن بمجرّد ما تشتعل فيه نار القرءان، فإنك ستشعر بحرارة في عقلك، حرارة نار "نودي أن بورك مَن في النار" فهي نار الكلام الإلهي. ستبدأ تشعر بتغيير في عقلك، زيادة الحرارة والحركة، وهي مرحلة "البحر المسجور" بعد التسجير توجد مرحلة قد تجعل الكثير من الناس يرتدّ على عقبه ويرفض إكمال الطريق، لكن إذا صبرت ستنتقل من التسجير إلى التفجير، كل وعيك سيصبح مشتعلاً بالنار الروحية القدسية، ثم سيتبخّر الوعي الزائف وتجد فراغاً في قلبك، وفي هذا الفراغ سيبدأ تنزيل "إنا سنُلقي عليك قولاً ثقيلاً". نفسك قبل القيامة مثل بحر الماء الملح الأجاج، لكن بعد التسجير فالتفجير سيحدث التبخير فالتطهير فالتنوير، وعندها ستعرف حقيقة معنى التغيير "إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم".

على هذا النمط تأمل الآيات، واعرف أن تسلسل الآيات ليس اعتباطياً، بل هو تعبير بلسان الأمثال عن مراحل التغيير النفسي. فحين يقول مثلاً {إذا الشمس كوّرت. وإذا النجوم انكدرت} فهذا يعني أن البداية من الشمس وليست من النجوم، فابدأ بتغيير شمسك واصبر على ذلك ثم تنتقل إلى القدرة بإذن الله على تغيير النجوم. لتقريب المفهوم فقط: إذا فسّرنا الشمس بأنها الفكرة، فتأمل هذا، ستجد أن فكرتك هي الأساس الذي عليه ستتبني نجومك، مَن نجومك؟ " وبالنجم هم يهتدون" هي الذين تهتدي بهم، الأئمة، القادة، السادة، الكبراء، الشيوخ. حين تعتقد بالعقيدة الكلّية أيا كانت ستبدأ ترى مَن يمثّلون هذه العقيدة ويروجونها ويقومون بها ويعملون على أساسها على أنهم نجومك، لكن إذا كُوِّرَت شمسك فستنكدر بعدها نجومك. هذا تفسير، ويمكن تفسيره على وجه آخر، فالقرءان له أوجه ودرجات، وإنما ضربت لك مثالاً واحداً على أهمّية النظر إلى ترتيب الآيات كترتيب حقيقي وجودي جوهري ضروري، فتعقّله ولا تقرأ {إذا الشمس كوّرت. وإذا النجوم انكدرت} وكأنها مساوية لقوله "إذا النجوم انكدرت. وإذا الشمس كوّرت". اسأل نفسك أثناء القراءة: ما الفرق عندي وفي فهمي لو كانت الشمس ثم

النجوم كما هي الآن أو لو كانت النجوم ثم الشمس؟ إذا لم تجد فرقاً فأنت لم تقرأ ولم تعقل، وليس لك من قراءتك هذه شيئاً يُذكَر.

السور المختلفة أوردت طرقاً مختلفة للتغيير النفسي، فقد تبدأ بالشمس ثم النجوم كما في سورة الشمس، وقد تبدأ بالسماء ثم الكواكب كما في سورة الانفطار {إذا السماء انفطرت. وإذا الكواكب انتثرت} هي طرائق مختلفة إلى حقائق متفقة. فكما أنه توجد مواقيت متعددة مختلفة للحجّ، كذلك توجد طرق متعددة مختلفة لتغيير النفس. وكل سورة عبّرت عن طريق صحيح.

نختم بدليل لتقريب المعنى لمن لم يعقله بعد بإذن الله: {إذا السماء انفطرت. وإذا الكواكب انتثرت. وإذا البحار فجّرت. وإذا القبور بعثرت. علمت نفس ما قدّمت وأخّرت}. لاحظ أنه ذكر السماء والكواكب والبحار والقبور ثم جعل ذلك مقدّمة لذكر النفس التي {علمت..ما قدّمت وأخّرت}، والتي بعد ذلك ستسمع كلام الله بدليل الآية التي بعدها {يا أيها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم.}. هذا دليل. ودليل آخر تجده في سورة الشمس فبعد أن ذكر الشمس والقمر والنهار والليل والسماء والأرض قال {ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها.}. فما ذكره عن النفس في كل سورة هو التغيير النفسي الخاص الذي تشير إليه الأمثال المذكورة قبلها، ففي الانفطار ذكر العلم وسماع الخطاب، وفي سورة الشمس ذكر الإلهام والفرقان، وهكذا.

...

ما هي حقيقة الحجّ؟ هي سفر النفس إلى ربّها حتى تسمع كلامه منه وحياً من دون حجاب ولا رسول. لاحظ كيف ختم آية الحجّ لترى هذا المعنى بإذن الله: {الحجّ أشهر معلومات، فمَن فرض فيهن الحجّ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحجّ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله، وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى، واتّقونِ يا أولي الألباب} الآية من خمسة مقاطع:

أوّلها زماني {الحجّ أشهر معلومات} هذه معلومة خالصة لا يوجد فيها أمر بعمل، فهي بيان عن حقيقة شرعية قدّرها الله، فقوله {الحجّ} يدل على قصد النفس ربّها والرحلة إليه كما قال لوط مثلاً "إني مهاجر إلى ربّي سيهدين".

وقوله {أشهر} يدل على الزمان، والزمان اعتبار عقلي وليس مثل المكان الذي هو أكثر كثافة وهو محسوس، فالزمان في العقل وإلا فلا زمان وأما المكان فيعرفه حتى الغافل والمجنون والجاهل، فالمحافظة على الأزمنة والتمييز بينها هو بداية تدريب العقل على العمل بتجرّد عن الحسّ نسبياً وأن يميّز بين المعقولات كما أن الأشهر الحرم غير الأشهر غير الحرم فكذلك يبدأ العقل يميّز ما بين الوجود القدسي لله تعالى والموجودات التي دونه وتحته. كذلك كلمة {أشهر}

تشير إلى الإشهار وهو الإظهار والإعلان، وذلك لأن نفس فكرة الزمان فيها إظهار للموجودات المعقولة المتعالية على المحسوس، وكذلك لأن الحجّ هو وسيلة لمعرفة الحقائق وإظهارها ومنه كلمة "الحجّة" كما تقول في البرهان العقلي "حجّة" كما قال الله "تلك حجّتنا آتيناها إبراهيم" ومن هنا ترى الحجّ نفسه مرتبط بإبراهيم صاحب الحجّة كما قال الله لإبراهيم "أذِّن في الناس بالحجّ يأتوك".

وقوله {معلومات} يشير إلى المعلومة بمعنى الفكرة المعقولة أو العلم، وكذلك يشير إلى التمييز ما بين المعقول المعلوم أي الذي له وجود حقيقي والمعقول غير المعلوم أي المعدوم فما لا يعلمه الله لا وجود له أي هو المعدوم. فالحجّ هنا عمل إنساني في مكان مقيّد و في زمان محدد، "بوأنا لإبراهيم مكان البيت" "أرنا مناسكنا"، لكن الحاكم على الحجّ ليس العمل وليس المكان بل الزمان، فالعبرة الأساسية فيه للزمان لقوله {الحجّ أشهر معلومات}، وإلا فالعمل والمكان بدون الزمان لا ينفعان لإقامة الحجّ. هذا أوّل التجريد، وهو أول مقطع، ويشير إلى الجانب الأرضي، عملاً ومكاناً وزماناً مع حاكمية الزمان وعلوه. ومن هذا الطرف، أقصد طرف الزمان يتّصل المقطع الأول بالثاني.

المقطع الثاني هو {فمَن فرض فيهن الحجّ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحجّ} هنا بيان لحياة الإرادة الإنسانية، لأن {فمَن فرض} يعني فرض على نفسه الحجّ، فهي الإرادة حين تقيّد المريد. فبعد إحياء العقل في المقطع الأول، أحيى هنا الإرادة. فكما أن عقلك بالاعتقاد بأشهر الحجّ صار ينظر إلى الزمان المجرّد كحاكم على المكان والعمل، كذلك هنا صارت إرادتك بفرض الحجّ الذي هو "لله على الناس" طوعاً صارت تنظر إلى نوع من الاتصال بإرادة الله الآن بالحجّ "وأتمّوا الحجّ والعمرة لله". فالعقل تقدّس بالإيمان بالأشهر الحرم التي حرّمها الله "إن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حُرُم". والإرادة هنا تقدّست بالإسلام لأمر الحجّ وفرضه على النفس طوعاً بدون إكراه إنسان ولا شيء في الدنيا. وبعد هذا الفرض الأصلي للحجّ جاءت نواهي ثلاث {فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحجّ}، الرفث للنساء "أُحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم" فهو تجرّد من مراد الجسم الدنيوي، والفسق من الألفاظ "بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان" كما في التنابز بالألقاب ونحوه فهو تجرّد من اللفظ السفلي، والجدل من الذهن الكافر "ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا" فهو تجرّد من الجهل. فهذه الثلاثة تعبير عن فصل الإرادة عن الناس، جسماً واسماً وفكرةً. هو انفصال عن الناس للاتصال بربّ الناس. "ما أصابك من حسنة فمن الله" لذلك لم يأتي نهي عن الاتصال بالناس بالحسنة لكن الكلام عن الجانب

السيء أو الدنيوي البحت منه، لذلك أعاد كلمة {في الحجّ} بعد ذكر المنهيات الثلاثة، للتأكيد على القصد من هذه المنهيات وهو {الحجّ} بمعناه الأعلى.

المقطع الثالث {وما تفعلوا من خير يعلمه الله} يعزز هذا ما سبق من أن الرفث والفسوق والجدل المقصود بها أفعال شر حصراً، والرفث إلى النساء شرّ وليس كل اتصال بالنساء شر بل الرفث منه فقط، وهو ما ينتج عن نظر الإنسان لنفسه مع غفلته عن ربّه وعدم سيطرته على نفسه بدليل قوله "أُحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم..علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم". فما لم يكن كذلك فليس رفثاً.

بعد تقديس العقل والإرادة، صار فعل الخير ممكناً فقال {وما تفعلوا من خير}، كذلك صارت ذكر الله ممكناً لقوله {يعلمه الله} مما يعني أن النفس صارت قابلة لتذكّر علم الله بفعلها، فانفتحت على أفق العلم بالله وجدانياً واستحضار علمه بفعلها حقّاً.

المقطع الرابع {وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى} هذه مرحلة أعلى في التجريد، لأنها تدلّ على رؤية الزاد التجريدي الذي هو {التقوى}، خلافاً للوضع قبل الحجّ أي الوضع أيام الجاهلية حيث الزاد هو فقط الزاد التجسيدي المادي. فالآن صارت النفس مجرّدة تستشعر بأنها على سفر وعلى وشك أن تسافر في طريق "إنا لله وإنا إليه راجعون"، فهي تطلب الزاد لذلك الطريق الأبدي. فعلمت النفس الآن أنها ليست دنيوية بحتة، بسبب ما وجدته في عقلها وإرادتها ووعيها من صلة بالمجرّدات والقدسيات والأمر الإلهي العلمي، فلو كانت مجرّد كائن طبيعي لما استطاعت أصلاً أن تجد مثل هذه الأمور. لذلك شعرت النفس بغربتها في الدنيا، ورأت كيف أن الجسم ينشأ من الأرض ويرجع إليها، فعلمت أنها نشأت من الأمر الإلهي الأعلى وسترجع إليه، فطلبت الزاد الأبدي كما أنها كانت تطلب الزاد البدني، فقيل لها {وتزوّدوا} حتى لا تظن بأن التوكّل يعني ترك الزاد. ثم بيّن لها الزاد فقال {فإن خير الزاد التقوى} والتقوى تجمع الإيمان والعمل لقوله "هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة". فعلمت أنها راجعة إلى ربّها في هذا المقطع فأعدّت العدّة وتزوّدت بالتقوى.

ثم انتهى الحجّ في المقطع الخامس بسرّ الحجّ الأكبر وهو سماع كلام الله مباشرة بدون حجاب ولا رسول ولذلك تكلّم الله مباشرة بقوله {واتقونِ يا أولي الألباب}، فهذه بشرى الحجاج حقاً. هنا بيت الله الذي تحجّ إليه النفوس الحيّة الكريمة على ربّها. وصار للنفس اسماً جديداً هو {أولي الألباب} الذي هو اسم الحجاج للحق بالحق.

...

لماذا تبدأ القراءة بالبسملة؟ لأنها "فاتحة الكتاب"، فيها مفتاح الكتاب، الأصول التي يجب أن تقرأ بها الكتاب حتى تعقله بإذن الله كما ينبغي.

قولك {بسم} يشير إلى الاتصال العميق بالاسم الإلهي، فأنت البا والألف التي تميّز بينك وبين الاسم الإلهي صارت غيباً وباطناً فأذِن لك بالاتصال به ولذلك هي {بسم} وليست "باسم" وهو نهاية القرب الممكن ولا يمكن أقرب منه "واسجد واقترب"، ومع ذلك بينك وبين الله السين والميم والفراغ الذي بين الميم وبداية {الله}، وفي هذا الفراغ عدم لا يُجبَر، والسين سموّه تعالى فلا تستطيع أن تدانيه، والميم تُغلق فمك عن القدرة على التعبير عن الحقيقة الإلهية فضلاً عن إمكان الاتحاد بها. فنهاية الاقتراب رفع حجاب الألف حتى تأخذ منه تعالى بلا وسيلة "وعلّم ءادم الأسماء".

حين تقرأ القرءان، انظر ماذا تفيدك الآيات في بيان أبعاد البا من {بسم}، يعني حتى تعرف نفسك، وتعرف صلتك بربك، وتعرف أحوال الواصلين وأحوال المنقطعين، وكل ما يتعلّق بهذه الأمور.

كذلك انظر ماذا تفيدك الآية في بيان الأسماء الإلهية، فكل آية تعبير عن الأسماء الحسنى بالضرورة.

ثم انظر العوالم الثلاثة التي تمرّ بها النفس، وهي المعبّر عن حقائقها العلوية بقوله {الله الرحمن الرحيم}. فالنفس على سفر، ولها في كل مرحلة مكاسب، فانظر لكل آية على أنها تعبير عن ذلك السفر، فانظر ما هو العالَم الذي تعبّر عنه وما شؤونه وأحواله ومكتسباته ومخاطره.

...

{الذين ءاتيناهم الكتاب يتلونه حقّ تلاوته أولئك يؤمنون به ومَن يكفر به فأولئك هم الخاسرون}

جعل {يؤمنون به} في مقابل {الخاسرون}، لماذا؟ لأن {يؤمنون به} هم الفائزون، لكن لماذا عبّر بـ{يؤمنون به} بدلاً من "الفائزون"؟ لأن الفوز قد يكون فوزاً بالحقيقة أو فوزاً بالوسيلة، وكلاهما على درجات. مثلاً: إذا أكلتَ طعاماً صحّياً لذيذاً فقد فاز جسمك بالحقيقة لأنه انتفع مباشرة بما أكله، لكن إذا فزت بمال فالمال ليس فوزاً بالحقيقة لكنه فوزاً بالوسيلة لأن المال وسيلة لتحصيل الأشياء والخدمات التي تجلب الراحة واللذة، فالمال وسيلة وليس غاية. ثم قد توجد درجات للفوز بالحقيقة أو للفوز بالوسيلة، مثلاً: تفوز بقوّة ثم هذه القوّة تأخذك إلى ما هو أقوى وأحسن ثم ما هو أحسن يفتح لك ما هو أعلى منه وهكذا كل درجة هي في حد ذاتها فوز بالحقيقة لكن فوقها ما هو أحسن منها فأنت من حسن إلى أحسن وكله فوز حقيقي. في

المقابل، قد تفوز بوظيفة، وهذه الوظيفة وسيلة للمال، والمال وسيلة للاستهلاك المريح واللذيذ، فالوظيفة وسيلة إلى وسيلة هي المال الذي هو وسيلة الاستهلاك. الآن، حين قال {يؤمنون به} بدلاً من "الفائزون" دلّ بذلك على أن {يؤمنون به} هو فوز حقيقي، أي الإيمان به هو بحد ذاته فوز وليس مجرّد وسيلة إلى الفوز، لأن الإيمان ذاته سعادة النفس، نعم الإيمان فوز بالحقيقة لكن بعده وفوقه درجات من فوز حقيقي كرضوان الله ودخول الجنّة والنصر ونحو ذلك. لكن الإيمان ليس وسيلة لشيء، بل هو مقصد بحد ذاته.

جعل {يتلونه حق تلاوته} في مقابل {يكفر به}، لماذا؟ لأن الكفر ضدّ {يتلونه حق تلاوته}. ما معنى ذلك؟ التلاوة هي الاتباع، إما اتباع المعاني وذلك عبر التلاوة العاقلة لحروف الكتاب وبهذا الاتباع تجعل معاني الكتاب قائمة في قلبك ووجودك النفسي الجوّاني الداخلي، وإما تحقيق المعاني عبر العمل بحسب مقتضيات معاني الكتاب فتقول ما بيّنه الكتاب من الحقائق وتفعل ما أمر به الكتاب من الحقوق وبهذا الاتباع تحعل معاني الكتاب قائمة في قالبك ووجودك الظاهري البرّاني الخارجي. إذن، تلاوة نفسية وتلاوة آفاقية. ولذلك قال {يتلونه حق تلاوته} فكرر التلاوة، لأن {يتلونه} تشير إلى النوع الأول من التلاوة، وَ{حق تلاوته} تشير إلى النوع الثاني من التلاوة، وبهما معاً يتمّ الأمر. لاحظ مثلاً كيف قال عن الذين يتلونه لكن ليس حق تلاوته "وهم يتلون الكتاب" حين خالفوا بأعمالهم ما قرأوه في الكتاب وفهموه منه، يعني يقرأون ولكن لا يعملون. وقال في آخرين "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون" فهؤلاء فهموا الكتاب بدليل أنهم عرفوا ما هو البرّ حقّاً، وكذلك قالوا للآخرين ما هو البرّ وأمروهم به، لكنهم نسوا أنفسهم من ذلك بمعنى لم يعملوا بمقتضى البر الذي أمروا به غيرهم فلم يعقلوا أي لم يربطوا ما بين قولهم وفعلهم ولم يربطوا ما بين أمرهم الآخرين وأمرهم أنفسهم ولم يربطوا ما بين ما فهموه وما عملوه. فأوّل خطوة هي {يتلونه}، لكنها لا تكفي بدون {حق تلاوته}. الآن، ضدّ ذلك هو {يكفر به}، بمعنى أن عدم تلاوة الكتاب كفر، وعدم العمل به كفر. فالتلاوة بالنوعين إيمان، {أولئك يؤمنون به}.

ومن هنا حين تنزل سورة يقول الذين أوتوا العلم "أيّكم زادته هذه إيماناً"، فالإيمان له درجات، وكل سورة قرآنية ترفع درجة كبرى، وداخل هذه الدرجة درجات. الجنّة إذاً ١١٤ درجة، داخل كل درجة درجات على "عدد آيات القرءان" كما جاء في الرواية. درجات كبرى ودرجات صغرى، الصغرى داخل الكبرى، كالدوائر بعضها داخل بعض. ثم الدرجات الصغرى داخلها درجات أصغر، وذلك على عدد كلمات الآيات، وهذه الدرجات الأصغر داخلها درجات أصغر وذلك على عدد حروف الكلمات. فالقرءان جنّة، وكل كتاب إلهي جنّة خاصّة، وإن كان القرءان هو الجنّة الأوسع بدليل "ومهيمناً عليه"، ولذلك هو "القرءان" من القرء الذي هو الجمع، لأنه

الجنّة الجامعة لكل الجنّات الأخرى. ومن هنا ورد أن السبع الطوال مكان التوراة، وهكذا سور مكان الزبور وسور مكان الإنجيل. فكل الكتب الإلهية على التحقيق في القرءان مجموعة الحقائق، "وإنه لفي زُبر الأولين". كل تلاوة لحرف أو كلمة أو آية أو سورة أو ختمة هي إيمان وفتح وكشف ورفعة. والعكس بالعكس، فكل تغطية لأي حرف أو كلمة أو اية أو سورة أو كتاب إلهي هو كفر وغلق وكتم وخفض للنفس.

{الذين ءاتيناهم الكتاب} الكتاب أوّل مَن أوذي في الأرض وبين الناس. فمنهم مَن يؤمن به ومنهم مَن يكفر به. ولذلك كان حظّ المؤمن بالكتاب يشبه حظّ الكتاب، يعني لابد أن يوجد مَن يؤمن به ومَن يكفر به. فلأهل القرءان أسوة بالقرءان فيما يتعرّضون له من أذى في الأرض، فأوّل مَن تعرّض لذلك هو القرءان ذاته. فكما قيل في القرءان "لا تسمعوا لهذا القرءان" ستجد أهل القرءان كذلك يُقال فيهم "لا تسمعوا" لفلان وفلان. وكما قيل في القرءان "تنزّلت به الشياطين"، كذلك سيقال في أهل القرءان أن الشياطين تنزّلت فيهم أو هم شياطين بغير وجه حق. وهكذا كل ما قيل في القرءان وعُمل به فيه سيُعمَل مثله بدرجة بأخرى مع أهل القرءان. ومن هنا تعلم لماذا يعاني العلماء في الأمّة، لأن أوّل مَن يعاني فيها هو القرءان ذاته، فأمّة لا تبالي بالقرءان كيف ستبالي بالعلماء به.

{الذين ءاتيناهم الكتاب} الله يؤتي الكتاب وهو يعلم أنه سيوجد مَن يؤمن به ومَن يكفر به. بالتالي الإيتاء غير مشروط بضمان إيمان الكل به، ولا يمنع نشره التيقّن من وقوع الكفر به.

{يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به} أكبر وأهمّ عمل ديني هو تلاوة الكتاب حق تلاوته، وحيث أن {تلاوته} قبل {حق تلاوته}، فتلاوته بداية كل شيء. الدين ثلاث خطوات: تلاوة كتاب الله، ثم تعقّله، ثم العمل به. فالتلاوة دنيا، والتعقّل برزخ، والعمل به آخرة. التلاوة من الله "يتلون كتاب الله"، والتعقّل من الرحمن "الرحمن. علّم القرءان."، والعمل من الرحيم "ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً". الدليل الأكبر على الفساد هو تحويل أعمال الدين إلى شيء غير هذه الثلاثة، وتشتيت الناس بأعمال وشؤون أخرى، ونقل المركزية من كتاب الله إلى أي شيء أو شخص آخر. الذين يتلونه حق تلاوته هم الفائزون بالحقيقة، ومَن عداهم هم الخاسرون بالحقيقة، بالتالي يكفيك أن تكون من الذين يتلونه حق تلاوته وأن تجاهد وتسعى لذلك بالليل والنهار.

...

سألني صاحبي عن الآية ١٩-٢٠ من سورة البقرة.

أقول: الآيات في هذا المقطع عن المنافقين.

الأول {مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلمّا أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم} المنافق ينظر إلى ما حوله وهمّه الدنيا وعلاقاته بالناس، لكن نور قلبه وآخرته منعدم. فحتى إذا حصل على ما يريده في الدنيا والظاهر والمجتمع فقد أفسد آخرته وباطنه وولايته الله وملائكته.

الثاني {أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق} هذا مثال الوحي الذي ينزل على المنافقين ويسمعونه، الصيب كلام الوحي. {يجعلونه أصابعهم في ءاذانهم} كما فعل قوم نوح معه "جعلوا أصابعهم في آذانهم" حتى لا يسمعوا كلام نوح رسول الله، {من الصواعق} هي إنذارات الرسل وحججهم التي يبطلون بها دعاوى المنافقين، كما تجدها مثلاً مشروحة في سورة التوبة "ومنهم" مَن يقول كذا ثم يردّ عليهم "قل" كذا وكذا. {حذر الموت} حذر أن تموت نفوسهم المنافقة، لجهلهم بأن موتهم هذا هو بداية الحياة العليا، "أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها".

{يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا} آمنت بما قلته أنت فيها من أنها إشارة إلى إعراضهم عن كتاب الله إذا كان حكمه ضدّهم وإقبالهم عليه فقط "إن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين". فبرق الحق الصادر من كتاب الله.

سأل عن مشاركته ما يقرأه من كتاب "أفاستا" لزرادشت لأنه يخاطب فيه أهورا مازدا وهو عنده إله فهل مشاركة ذلك جائزة أم حرام؟

أقول: الحق أينما كان حق، ولو صدر من الشيطان نفسه، فالحق حق. هذا المبدأ العام.

بالنسبة لأهورا مازدا خصوصاً، فهو عندهم إله النور، فهو الله تعالى عندنا، "الله نور السموات والأرض". وقد بيّن شيخ الإشراق السهروردي رحمه الله في أوّل كتابه حكمة الإشراق أن كفّار المجوس هم الذين يعتقدون بإلهين اثنين، لكن أهل التوحيد من الفرس لا يعتقدون بذلك ولكن فكرة "إله النور" تعبّر عن "واجب الوجود" أو "الوجود الوجودي"، وأما "إله الظلمة" فتشير إلى "الممكن". بعبارة أخرى، النور هو الرب، والظلمة هي العبد. وحين يُعبّرون عن أن الظلمة "إله" فالمقصود أنها أصل ثابت لا يمكن أن يزول، كما نقول نحن بأن العبودية أمر ثابت للخلق لا ينفكّ عندهم أزلاً وأبداً، حتى في الجنّة هم عباد الله "دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين" فهم يدعون الله حتى في الجنّة والدعاء "مخ العبادة" كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وكذلك قال "سلام قولاً من رب رحيم" فهم عباد إذن في الجنّة. فهذا معنى أن الظلمة "إله" على الوجه الحق في تأويل هذه الكلمة، وليس "إله" بمعنى ألوهية الله تعالى. فهو من قبيل "الله الغني وأنتم الفقراء". لكل عقيدة وجه حق ووجه باطل، فحين تقرأ كتب الأمم فانظر وجه الحق وفسّرها

بتفسير القرءان لأنه قال "ولا يأتونك بمَثَل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً". فعلى هذا شاركه. بل مشاركة ذلك هي بحد ذاتها دليل على صدق القرءان الذي قال "وإن من أمّة إلا خلا فيها نذير"، وقال "وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً". وكون القرءان لم يذكر شخصاً فلا يعني أنه ليس رسولاً ولا نبياً ولا ولياً فقد قال في الرسل "ومنهم مَن لم نقصص عليك". ونحن نؤمن بالكتاب كله، والكتب كلها، وكل ما فيه حق وحكمة ونور فهو من الله تعالى لأن كل حسنة فهي من الله مطلقاً "ومَن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور". ورفض الحق حين تراه في كتاب فقط لأنه ليس في كتابك الديني الخاص هو من الكفر بالقرءان ذاته وتشبّه بالذين قال فيهم "يكفرون بما وراءه وهو الحق مصدق لما معهم" ويقولون "إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا"، ويقولون "لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم" والرد "قل إن الهدى هدى الله" فالأمر أوسع من أن يُحصَر في أمّة أو لسان أو كتاب. وقال الله عن القرءان "وإنه لفي زبر الأولين". بالتالي إذا وجدت حقيقة قرآنية في أي كتاب أو عند أي عالِم من أي أمّة فمشاركتها وإظهارها وإظهار تصديق القرءان لها ومصداقها فيه هو بحد ذاته من الدعوة إلى كتاب الله ليحكم بيننا وتفسير الأمور به، وكذلك تنبيه الناس على سعة رحمة الله وعنايته بالأمم كلها. وما كان الله ليرزق أجسام الأمم ويترك نفوسها وعقولها بلا رزق، حاشاه وهو خير الرازقين.

قال: في سورة هود، ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ ﴿لذلك خلقهم﴾ علشان يرحمهم ولا علشان يكونوا مختلفين؟ ولو علشان يرحمهم فلماذا مش "لهذا خلقهم" ولو علشان يختلفوا ويتفرقوا فليه؟ وليه بعد ده قال ﴿تمت كلمة ربك لأملأن جهنم﴾ ، هل ده معناه إنه الاختلاف نتيجته جهنم؟

أقول: الدليل على أن الخلق للاختلاف وليس للرحمة هو أن العلماء أنفسهم اختلفوا في فهم الآية وهل تدل على أن الخلق للاختلاف أو للرحمة ! الآية بنفس تركيبها ومبناها كشفت عن حقيقة معناها. احتمالها للوجهين يدل على الوجه الصحيح والأقوى منهما.

ويشهد لهذا بداية الآية {ولو شاء ربك لجعل الناس أمّة واحدة} بالتالي لم يشأ سبحانه ذلك. فالآية واردة لنفي جعل الناس أمّة واحدة. فلمّا كانت مشيئته تعالى كذلك، كانت النتيجة هي {ولا يزالون مختلفين}، لأن مشيئته بعدم التوحيد دالة على ترك الناس للاختلاف. وقوله {ولا يزالون} تعني أن الأمر مستمر إلى يوم القيامة، بل إلى الأبد، أما أنه مستمر إلى يوم القيامة فلقوله "إن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً" ولو اختلافهم وتعرّضهم لأسباب العذاب لما أهلكهم ولا عذّبهم. وأما أنه

مستمر إلى الأبد فلقوله "فريق في الجنّة وفريق في السعير"، وقوله "خالدين فيها"، وإن كان علّق أمر أصحاب النار على المشيئة في آية فالأمر لله وهو أرحم الراحمين، فهذه نافذة للرحمة حتى يُعرَف بأن الحكم في ملك الله للرحمة بالأصالة ولا شيء يمنع الرحمة مطلقاً لأن لها الحكم الأصلي "ورحمتي وسعت كل شيء" و "الرحمن على العرش استوى". فمعنى الآية أن الله لن يجبر الناس على قبول رحمته، بل لابد لهم من العمل لها "قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم"، "فسأكتبها للذين يتقون". لذلك إذا لاحظت حتى أصحاب النار وبالرغم من أن الله تركهم يتكلّمون ويدعون أيضاً "ربنا أخرجنا منها" ونحو ذلك من آيات، لكن لن تجد في ولا آية أنهم سألوا الله رحمته ولا دعوه ليرحمهم وتوسّلوا إليه بتوحيده ورحمته وتسبيحه، فلم يُحرَموا من الرحمة إلا لأنهم لم يسألوا الرحمة ولم يؤمنوا بالرحمة.

{إلا مَن رحم ربك ولذلك خلقهم} كون هذه آية ثانية منفصلة عن السابقة دليل على أن المقصود من الخلق هو الرحمة، لكن أصل الخلق قائم على تركهم للاختلاف بحكم "لا إكراه في الدين". فالحق أن {لذلك} جامعة للمعنيين، لأن كونها في الآية الثانية المتصلة بـ{إلا مَن رحم ربك} تجعلها أقرب لهذه، ولكن كونها {ذلك} بدلاً من "لهذا" كما تفضّلت تشير إلى أن المقصود الإشارة إلى أمر بعيد والأمر البعيد في هذا السياق هو "ولا يزالون مختلفين". فلابد من التفريق إذن ما بين المقصد الأدنى والمقصد الأعلى من الخلق. المقصد الأدنى هو تركهم أحراراً ليختاروا مصيرهم، والمقصد الأعلى هو فتح أبواب الرحمة لهم. وتجد مثل هذا في أمر الله في الشريعة، فيأتي الحكم الواحد ويكون له أكثر من مقصد، أو يأتي الحكم لأكثر من طبقة حتى تعمل كل طبقة بحسب حالها من القوة والضعف، مثلاً الصلاة، قال في الصلاة {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر"، فالصلاة لها مقصد أصغر هو النهي عن الفحشاء والمنكر لكن لها مقصد أكبر وهو ذكر الله "أقم الصلاة لذكري"، فهل الصلاة لذكر الله أم للنهي عن الفحشاء والمنكر؟ الجواب: كلاهما. مرّة قال "أقم الصلاة لذكري" فبيّن المقصد الأعلى، ومرّة قال "تنهى عن الفحشاء" فبيّن المقصد الأدنى. فكما أن الله "خلق السموات والأرض" فالسماء من السمو فالأرض من الدنو، فكذلك لخلق الله مقصد سامي ومقصد داني.

ولو كان المقصود أنه خلقهم للرحمة بمعنى أنه سيجعلهم في الرحمة جبراً بحكم "الله غالب على أمره"، لما قال بعدها {وتمّت كلمت ربك لأملأن جهنّم من الجنّة والناس أجمعين}. فذكر جهنّم بعد ذكر مقصد الخلق إن كان المقصود به المقصد الحصري وهو الرحمة بحسب الآية وفهمها المذكور لما كان لذكر جهنّم فائدة هنا ولكان ذكر الجنّة أولى. لكن سياق الآية ذاتها والاحتمال الثاني الذي هو أنه خلقهم للرحمة وأن لها الحكم وقوله "ما يفعل الله بعذابكم إن

شكرتم وآمنتم“ ووجود نافذة الرحمة حتى لأصحاب النار من حيث علّق الله الخلود فيها على المشيئة والمشيئة لا يقيّدها ما دونها وغيرها من الآيات الدالة على غلبة الرحمة وسبقها، هذه كلّها لا تتعارض مع وجود جهنّم، لأن إتمام كلمة ربك بامتلاء جهنّم من الجنّة والناس يصدق بحيث تمتلئ ولو للحظة واحدة ثم بعد ذلك تفرغ وتنعدم جهنّم في آن واحد في لحظة واحدة إن شاء الله، فتتم الكلمة بالامتلاء ثم إن آمن وشكر أصحاب جهنّم وتوسّلوا إلى الله بتوحيده وتسبيحه ورحمته ليخرجهم منها فالخلق يتجدد مع الأنفاس، ففي نَفَس واحد قد يُخرجهم من جهنّم ويُعدِم جهنّم. وعلى هذا يتخرّج معنى {لذلك خلقهم} إن كان المقصود به {إلا مَن رحم ربك}، لأن الله لو خلق لمقصد ثم تخلّف المقصد بطلت قدرته وغالبيته والعياذ بالله.

المشكلة الكبرى في أصحاب جهنّم أنهم جهلة في الآخرة كما كانوا جهلة في الدنيا لا ينتفعون بتذكير ولا وعظ. لاحظ أجوبة الله والملائكة والمؤمنين لأصحاب النار، وستجد فيها إشارات لهم وتنبيهات لهم بما عليهم أن يبادروا به من أنفسهم حتى يُخرجهم الله منها، لكنهم لا يعقلون. مثلاً، قالوا {ربنا أخرجنا نعمل غير الذي كنّا نعمل} فطلبوا المستحيل وهو العودة إلى الدنيا، وطلبوا أن يعملوا فلا زالوا يعتمدون على أعمالهم بدلاً من الاعتماد على رحمة الله وجعل التوسّل إليه برحمته وإلى رحمته هو عملهم، فانظر كيف أجابهم ولاحظ أنه أجابهم وكلمهم ولم يتركهم بلا جواب وهذا بحد ذاته من الرحمة بهم لو كانوا يعقلون فكونه أجابهم تنبيه لهم أنه سيرحمهم إن استغاثوا برحمته فإن الله أعظم وأكرم من أن يحرم سائلاً "وآتاكم من كل ما سألتموه"، لاحظ جوابه {أولم نعمّركم ما يتذكّر فيه مَن تذكّر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير} بيّن لهم عدم جدوى هذا النوع من السؤال لأنه مبني على افتراض باطل، فكأنه قال "لا تسألوا هكذا، اسألوا أمراً آخراً"، وكذلك ذكّرهم ببعث النذير وهو بحد ذاته تنبيه على رحمته بهم والتي عرفوا قيمتها الآن حين دخلوا النار وذاقوها، فلو تذكّروا ما قاله النذير لهم في أمر الدعاء والرحمة واالتوحيد والتسبيح من قبيل دعاء يونس وأيوب لعرفوا كيف يدعون وهم في النار لكنهم سألوا سؤالاً باطلاً وقائماً على باطل. مثال آخر: {نادى أصحاب النار أصحاب الجنّة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا أن الله حرمهما على الكافرين} فهذا تنبيه لهم أنهم لو تحققوا باسم الإيمان لما حُرّمت عليهم الجنّة وما فيها، وتجد كفرهم هنا بأنهم نادوا أصحاب الجنّة بدلاً من رب الجنّة، وطلبوا الرحمة من أصحاب الجنّة بدلاً من رب الجنّة، ونظروا إلى الخلق بدلاً من الخالق، وتعلّقوا بالكثرة بدلاً من الوحدة، هذا كله كفرهم الذي كانوا عليه في الدنيا وأثمر لهم النار، فلو تعقّلوا وغيّروا ما هم فيه لغيّر الله حالهم "إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم"، ولاحظ أن أصحاب الجنّة أجابوهم أيضاً وليس تركوهم بغير جواب.

وعلى هذا النمط ترى أن الله خلق الخلق للاختلاف وخلقهم للرحمة، على درجتين في القصد، للاختلاف من حيث الحرية وللرحمة من حيث دعاء الله ليرحمهم.

...

قالت: { ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا } هل يحق لي أدعو بالسوء على من ظلمني؟ لدي حقوق مالية ومدير الشركة مانعنها بدون أي وجه حق.

قلت: نعم. قدمي دعوى قانونية أولاً.

قالت: قدمت اجراءات طويلة عندنا غي القضايا والصبر زين والله نعم المولى ونعم النصير. الحمد لله.

قلت: أعرف إنها اجراءات طويلة، حددي موعد الجلسة ولا تفكري فيها إلى أن تأتي، ولا تشغلي نفسك فيها أبداً، وجهزي أوراقك والموضوع مباشر ما يحتاجه تفكير كثير طالما أن حقك واضح إن شاء الله.

...

اشتكت من حالة سلبية وكئيبة خلاصتها أنه يطغى عليها السخط والبؤس. فسألتها: متزوجة وعندك أولاد؟

فقالت: لا عزباء.

فقلت: السخط والبؤس يدل على أن الواحد بيفترض أن المقصود الأصلي من وجوده في هذا العالَم هو أن يشعر بعواطف معينة مثل الفرح والطرب طوال الوقت. وليس كذلك. هذه الدار دار عمل وجدّ واجتهاد في أمر الدين، ذكراً وفكراً ودراسةً لكتاب الله وإصلاح النفس والأرض. ثم مَن قام بذلك بشكل مستمر يمكن أن يجد بإذن الله تلك المشاعر بدرجة أو بأخرى. هذا أصل الموضوع.

جسمك يجوع ويعطش فتأكلين وتشربين. كذلك نفسك تجوع وتعطش وسيظهر شكل نفسك في الآخرة بحسب ما قمتي لها به في الدنيا. الاشتغال بذكر الله ودراسة كتابه هما طعام النفس ووسيلة تجميلها وتنويرها.

ثم بعد ذلك ادعي ربك يبعث لك رجل تحبينه ويحبك، ويرزقك ذرية طيبة بارة عاقلة. واجتهدي في إسعادهم.

إذا فعلتي هذه الثلاثة وجاهدتي للقيام بها بغض النظر عن أي شيء آخر، فستخرجي بإذن الله من الظلمات التي وصفتيها إلى النور.

...

—————

بعد أن ذكر الله أحكاماً تتعلق بالنكاح قال أنه يريد بهذه الأحكام أموراً منها {يهديكم سنن الذين من قبلكم} أقول: إذا كانت {سنن} الذين من قبلنا، وهم قوم لم يعيّنهم الله بالتفصيل، هي أمور هدى وتستحق الاتباع، فكيف تكون "سنن" خاتم النبيين والمؤمنين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان والعلماء وأهل الذكر ليست سنناً ذات هدى تستحق المتابعة؟

وهذه الآية حجّة على الذين يزعمون أن كلمة "سنن" لا تعني في القرءآن إلا "سنّة الله". بل الحق أنها تعني أيضاً الأحكام العملية الإنسانية، بدليل آية النساء المذكورة.

...

قال: ما هو الدليل من القران على اسبقية نور الرسول عليه الصلاة والسلام، اي (اول ما خلق الله نوري)

قلت: آيات كثيرة، اقرأ في كتبي تجد بياناً مفصلاً إن شاء الله.

لكن في الجملة:

١-(إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) فأثبت ربوبية الله للنبي بقوله (ربك) في هذا المقام، مما يدل أنه كان موجوداً مربوباً لله حتى قبل خلق آدم، بل الاسم الذي خلق آدم هو اسم (ربك) يعني رب النبي.

٢-(أنا أول المسلمين) (فأنا أول العابدين) (أُمرت أن أكون أول مَن أسلم). كل مخلوق عبد لله لقوله "إن كل مَن في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً" وكل مخلوق مسلم لله لقوله "له أسلم مَن في السموات". فلما أثبت الله للنبي الأولية في العبودية والإسلام عرفنا أنه أول مخلوق لله بالحقيقة.

٣-(ومنك ومن نوح) تقديم ذكر النبي على نوح في أخذ الميثاق، ونحوها من آيات تقدّم ذكره على بقية الأنبياء مثل (كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك) فقدّمه في تركيب الآية في تلقي الوحي، هذه تشير إلى أسبقية نبوته أيضاً.

٤-(خاتم النبيين) الخاتمية دليل على الأولية، لأنها تعبير عن الكمال، والكمال له العلو، والأعلى أقرب لله، وأعلى شيء أول مخلوق.

٥-(رحمة للعالمين) لم يُثبت مثل هذا لمخلوق أو رسول في كتابه. فدلّ على أن حقيقة النبي أعلى من العالمين، وهو عين الصفة الإلهية المتنزّل بها. هنا أثبته رحمة. وفي أخرى أثبت له العزة "لله العزة ولرسوله وللمؤمنين"، كما قال "سبحان ربك رب العزة" فأثبته في الكاف من "ربك" وجعله مع "العزة" التي هي صفة العزيز المتنزلة في العالَم. وهكذا بقية الصفات مثل الغنى "أغناهم الله ورسوله من فضله" لاحظ الجمع وتوحيد ضمير "فضله". وكذلك النعمة "أنعم الله عليه وأنعمتَ عليه". فحقيقة النبي هي عبد الله القابل لتنزل الصفات الإلهية في أعلى مستوى وجودي تحت الله وفوق العالمين فهو برزخ ووسيلة. ويرسلها للعالمين بإذن الله وبعثه وأمره. العالمون من العرش فما دون، فالله رب العرش ورب السماء ورب الأرض، وأيضاً هو رب العزة التي هي مستوى رب النبي، يعني النبي والعزة في مستوى واحد، النبي قابل والعزة فاعل من لدن الله، وبهما يصير رسولاً كونياً. هذا شيء لم يُثبته الله في القرءان لغير النبي. فهو سابق على العرش فما دونه،وهو رسول لعوالم العرش فما دونه.

٦-الفاتحة لم تنزل إلا على النبي، والقرءان جمع كل الكتب وهيمن عليها، ويوجد تناظر ما بين القران والأكوان، فلولا أن حقيقة النبي هي فاتحة الأكوان لما كانت نبوة النبي مشتملة على فاتحة القرءان. "نزل به الروح الأمين على قلبك"، فلولا أن لقلبه هذه القابلية لما نزل عليه بها ولتصدّع قلبه بسببها. فحقيقته فاتحة الأكوان، وسورته الخاصة هي فاتحة القران. وكما أن الفاتحة جمعت كل نور، كذلك حقيقته أصل كل نور نزل وتفصّل بعد ذلك.

٧-الإنسانية حقيقة واحدة في أشخاص كثر، والنبوة حقيقة واحدة في أنبياء كثر، والحقيقة المحمدية هي عين تلك الحقيقة النبوية الواحدة. فالنبي الأول بالحقيقة العامة والآخر بالصورة الخاصة.

٨-في آخر سورة الطلاق أثبت الله المقصود من خلق السموات والأرض فقال (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما). فالعلم بالله هو المقصود من خلق الله. ولو خلق الله الخلق قبل وجود العلم بالله بالصورة المطلقة التي ذكرتها الآية لكان الله تعالى مغلوباً على أمره، حاشاه، الحق أن "الله غالب على أمره". فدل على أن أول لحظة خلق وُجد فيها أعلم عالِم بالله، فتحقق المقصود من الخلق تمام التحقق في أول الأمر، وهذا العالِم هو النبي.

٩-قال الله في الآخرة (النبي والذين ءامنوا معه) فلم يذكر إلا هؤلاء. فكل من سوى النبي في الآخرة قيمته هو أنه من (الذين ءامنوا معه). فالنبي هو الأول السابق الإمام وكل من سواه معه فيدخل فيهم كل نبي ورسول وولي وصديق وما كان.

١٠-القرءان سيد الكتب، وفيه آية الكرسي سيدة آي القرءان، فنزلت على النبي سيدة آيات الكتب كلها. ولولا أن حقيقة النبي سيدة الحقائق لما تحمّلت تنزل سيدة الآيات، ولانعدمت المناسبة والمُشاكلة بين النازل والمُنزَّل عليه وهو خلاف الحكمة.

هذه عشرة أدلة والله يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم.

...

{تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر} أساس هذا في قومك، يعني كل فرد في قومه ومَن يُعتبَر جزءاً منهم وواحداً منهم وعلى قدم المساواة معهم "قال لهم أخوهم" "بلسان قومه". وإلا لكان على كل واحد أن يأمر بكل معروف وينهى عن كل منكر في الأرض كلها وهذا مستحيل عملياً وغير منصوص عليه شرعاً. لم يُنقَل عن رسول أنه نهى عن منكر في غير قومه خاصة أو ما يتصل بهم بأقصى حد، لا في القرءآن ولا في غيره، فهل نهى النبي مثلاً عن المنكرات التي تحدث في أمريكا الجنوبية أو في الهند بالتفصيل والتسمية وفي كل جزيرة من جزائر البحر؟ كلا. {قال لهم أخوهم هود} الأخوة تدل على المساواة في الدرجة، يعني في القوم هم على قدم المساواة، ما نسمّيه نحن اليوم باعتبار ما المواطنة. أما ما سوى ذلك من الأقوام فالعلاقة إما إعراض وإما ميثاق سلام وإما قتال في حال العدوان وإما دعوة عامّة إلى الخير احتمالاً.

...

يقول الأكثر أن القرءان لكل الناس وحجّتهم أن الله قال عن القرءان "هدى للناس"، والناس هنا مطلقة فتشمل الناس جميعاً. نقول: على ذلك التوراة والإنجيل أيضاً لكل الناس لأن الله قال في أول آل عمران "وأنزل التوراة والإنجيل. من قبل هدى للناس".

كلمة "الناس" تأتي وسياقها وسياق القرءان يحددها ويقيّدها، وهذا كثير جداً في القرءان. مثلاً "ءامنوا كما آمن الناس" هل المقصود الإيمان كما آمن أي فرد من أفراد الناس بالمعنى العام للإنسانية؟ هذا كلام متناقض إذن لأن الذين يؤمَرون بالإيمان هم أنفسهم من " الناس" فكيف تأمرهم أن يؤمنوا "كما آمن الناس" إذا كانوا هم أنفسهم من الناس وإيمانهم من إيمان "الناس" الذين تأمر أنت بالاقتداء بالإيمان بهم، هذا كلام باطل ويقرّ به الجميع. كذلك مثلاً "أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله" هل المقصود يحسدون كل الناس

مطلقاً؟ لا يقول بهذا أحد ولا يستطيع أن يقول به لأن الحاسدين هنا هم أصلاً من الناس بالمعنى العام ولم يحسدوا أنفسهم. كذلك مثلاً "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم" لاحظ "قال لهم الناس" فهل كل الناس على وجه الأرض قالوا لهم ذلك أم فئة معينة أو حتى فرد واحد فقط كما تحكي كتب الروايات عندهم؟ واضح للجميع أنه الثاني.

الخلاصة: هم يقولون القرءان لكل الناس لأنه قال "هدى للناس" لكنهم أنفسهم يقولون بأن التوراة والإنجيل لبني إسرائيل فقط وليست لكل الناس كالقرءان مع أن القرءآن ذاته قال عن التوراة والإنجيل نفس اللفظ حرفياً {هدى للناس}. فكيف صارت "هدى للناس" في القرءان لكل الناس مطلقاً، وصارت "هدى للناس" في التوراة والإنجيل ليست كل الناس؟ تلك إذا قسمة ضيزى.

ثم إن الله قال "ولو نزّلناه على بعض الأعجمين. فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين"، فلذلك أنزله بلسان عربي مبين. حسناً. اعكس الحجّة. إذا كان القرءان لو نزل أعجمياً لما آمن به العرب بحجّة أعجميته، وهذا حق بتقرير القرءان ذاته، فإذن القرءان العربي لو قُرئ على غير العرب لما آمنوا به أيضاً أو لكان هذا الافتراض هو الأصل وبنصّ القرءان "فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين" ولنفس العِلّة والسبب تماماً المذكور هنا. يعني، بيان الله لسبب تيسير القرءان باللسان العربي بدلاً من أن يكون بلسان أعجمي غير عربي، هو ذاته الدليل على أن القرءان ليس إلا لأصحاب اللسان العربي الذي نزل القرءآن بلسانهم.

قد يقال: {بعض الأعجمين} هنا تعني الدواب الأعجمية، وليست "نزلناه أعجمياً"، فالمقصود أن القرءان له قرأه عليهم الدواب مثل الجمال ونحوها لما آمنوا به، يشير إلى شدّة كفرهم وما شاكل ذلك. أقول: أوّلاً جاءت هذه الآية بعد ذكر تنزيل القرءان "بلسان عربي مبين"، فالأعجمي قد يشير إلى الإنسان أو الدابة العجماء، فيحتمل الاثنين معاً، وقصره على الثاني غير ضروري. ثانياً، كونها جاءت بعد ذكر كونه بلسان عربي وهو ضد الأعجمي تشير إلى قضية اللسان لا قضية الناطق به هل هو دابة أم بشر. ثالثاً، الذين فسّروا الأعجمين بالدواب قالوا بأن حجّة الكفّار ستكون هي لولا "فُصّلت آياته حتى يفقهه العربي والعجمي"، وهذا كلام لا معنى له، لأن الجمل أو الحصان لو نطق بهذا القرءان ذاته لكانت آياته مفصّلة ويمكن أن يفقهها العربي، وشاهدنا لهذا اليوم أننا نسمع القرءآن من "أعجمي" أشدّ من عجمة أي دابة كالراديو والتلفاز والجوالات وهي أدوات ليست من مملكة الحيوان بل ولا النبات لكنها من المعادن ومع ذلك حين نسمع آيات القرءان العربي المبين من خلال قراءة هذا "الأعجمي" فإننا نفقهه بإذن الله ولا أحد يجد إشكالاً لا في القرءان ولا في غيره حين تنطق به هذه "الأعاجم"، وكذلك حجّتهم باطلة على في ذلك الزمان القديم لأنه ثبت في الروايات بل وفي الآيات نطق "

بعض الأعجمين" على تفسيرهم كالنمل والهدهد أو تسليم الحجر وتسبيح الحصى ومع ذلك فهم مَن أسمعه الله نطقهم وفهمه منطقهم ذلك، فإذا نطقت نملة بآية الكرسي بصوت مسموع أو نطقت ناقة بسورة البقرة بنفس هذه الألفاظ العربية التي نقرأها اليوم لما كانت سبباً لعدم الإيمان بحجّة أنه غير مفصّلة آياته ولا يمكنهم فقهها. هذا أمر. نعم، قد نقول تخريجاً لقولهم: لو نزلت الروح القرآنية على "بعض الأعجمين" من الدواب لكن لم تتيسّر بلسان عربي مبين فقرأت الدابة القرءان بلسانها هي الذي لا يفقهه الناس فحينها لن يؤمنوا به كما لم نطق الهدهد فسمع نطقه إنسان لم يُعلَم منطق الطير فلن يفقه عنه، أقول: لكن تخريجي هذا لقولهم لا ينفعهم أيضاً وإن كان أحسن بياناً عنهم من قولهم ذاته، لأن المعنى حينها سيكون تحصيلاً لحاصل لا يوجد مَن يشكك فيه أصلاً، إلا أن نقول: المقصود بيان سبب تنزيل القرءان على إنسان بدلاً من حيوان وهو أن الحيوان سيقرأ بلسانه وهو غير لسانكم فلن تفقهوا عنه، وهذا أقصى ما يمكن أن يُستَدلّ به لقولهم ومع ذلك لا ينفعهم لأننا سنقول: وهذا بالضبط الحال مع هذا القرءان العربي اللسان مع أصحاب اللسان غير العربي فإنه بالنسبة لهم حين يسمعونه كما لو سمعنا نحن قراءة الجمل ونطق الهدهد، فما الفرق بين صوت البقر وصوت النحل وبين صوت قارئ لقرءان عربي بالنسبة لمَن لا يفقه العربية أصلاً لأنه غريب عنها؟ لا شيء.

يعزز هذا النظر إلى موارد ذكر الأعجمية في القرءان:

المورد الأول قوله تعالى {ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين} أقول: لاحظ أن الردّ عليهم كان بالنظر إلى اللسان حصراً وليس إلى المعاني التي يدل عليها اللسان. فالقرءان بلسان عربي مبين، لكن الذي ذكروا أنه يعلّم النبي القرءان لسانه أعجمي يعني ليس عربياً. فإن قالوا: مُعلّمه ألقى إليه المعاني ومحمد وضع لها المباني العربية، فما الردّ؟ الردّ: إذن لم يعلّمه هذا القرءان ! دعوى أولئك تتعلّق بهذا القرءآن، وهذا القرءان بلسان عربي، فالعبرة هنا باللسان تحديداً. فضلاً عن أن الآية تشير إلى نوع من الاتحاد ما بين المعنى والمبنى في القرءان، بحيث أن مبانيه محكمة شديدة الإحكام مع معانيه، فأي تغيير لمبنى فيه هو تغيير لمعنى فيه، ولذلك يستحيل أن يُلقي أحد معاني القرءان لأحد بلسان غير اللسان العربي ويكون مع ذلك محافظاً بدقّة على معاني القرءان ذاته، لابد أن يحدث فيها تحريف ما وتشويه بدرجة أو بأخرى ولو بغير قصد. هذه أوّل آية في الأعجمية، وتشير إلى إنسان له لسان أعجمي غير عربي.

المورد الثاني قوله سبحانه {ولو نزّلناه على بعض الأعجمين} وهي محل الدراسة فنؤخرها.

المورد الثلاثة قوله تعالى {ولو جعلناه قرءاناً أعجمياً لقالوا لولا فُصّلت آياته ءأعجمي وعربي قل هو للذين ءامنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون

من مكان بعيد} أقول: الأعجمية هنا مرتبطة بالقرءان، وهذه الآية تدل على نوع من الفصل ما بين القرءآن واللسان، خلافاً للآية الأولى، لكن لا اختلاف بينهما ، لأن الآية الأولى تبيّن استحالة جعل الإنسان لمعاني القرءآن بلسان غير لسانه بنحو يطابق تماماً معناه، لكن هذه الآية تدلّ على إمكانية ذلك بالنسبة لله تعالى لذلك قال {ولو جعلناه قرءاناً أعجمياً} فالجعل هنا منسوب لله تعالى وفعله وليس للبشر كما في الآية الأولى "إنما يُعلّمه بشر" سواء كان البشر هو المُعلّم أو هو سيدنا محمد "أنا بشر مثلكم". ثم نقول: اقرأ ما قاله مَن كتب في التفسير في ذيل هذه الآية وانظر، وستجد أن ما ردّه القرءان هو ذاته ما أثبتوه للقرءان في دعوى عالَمية هذا القرءان.

مثلاً: قال الطبري {يقول تعالى ذكره: ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه يا محمد أعجمياً لقال قومك من قريش: { لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ } يعني: هلا بينت أدلته وما فيه من آية، فنفقهه ونعلم ما هو وما فيه، أأعجميّ، يعني أنهم كانوا يقولون إنكاراً له: أأعجمي هذا القرآن ولسان الذي أُنزل عليه عربيّ؟} أقول: هذا بالضبط ما سيقوله غير العرب لو ُقرئ عليهم هذا القرءآن العربي، يعني العجمي سيقول عن القرءان العربي ما كان سيقوله العربي لو كان القرءان أعجمي. الردّ هو هو.

مثلاً: قال الطباطبائي {أ كتاب مرسل أعجمي و مرسل إليه عربي؟ أي يتنافيان و لا يتناسبان.} وقال {المراد بيان التنافي بين الكلام و بين المخاطب به} أقول: كذلك الأمر هنا، أكتاب مُرسَل عربي ومُرسَل إليه عجمي؟ يتنافيان ولا يتناسبان، ويوجد تنافي بين الكلام وبين المُخاطَب به.

مثلاً: قال الزمخشري { مبنى الإنكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب إليه}

أقول: يمكن ذكر أمثلة كثيرة من تقريرات مختلف علماء الفرق، وهذا لا يعني أنهم لم يقولوا كلاماً يتناسب مع عقيدة عالمية القرءان العربي والإسلام الناشيء منه، لكن يكفينا ما أقرّوا به على ما نختلف معهم فيه. فقد نطقوا بالحق حين قرأوا القرءان، ونطقوا بالباطل حين أضافوا عقائدهم وعطفوها على البيان.

...

النبي هو الذي علّم الأمّة كيف تخطّ كتاب الله.

من أمثلة ذلك وشواهده: كلمة "عباد":

كتب {يا عبادي الذين ءامنوا إن أرضي واسعة فإيايَ فاعبدون} فهنا الله هو الذي ينادي بدون وسيلة "قل" النبوية، فضمير {عبادي} هكذا باليا راجعة إلى المنادي سبحانه المعبود {فاعبدون}.

لكن قارن هذه بنداء إلهي أيضاً وأيضاً بدون واسطة "قل"، لكنها جاءت بدون اليا في الخط، وذلك في قوله تعالى {لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك الذي يخوّف الله به عباده يا عباد فاتقون} وقارن ذلك أيضاً بمثلها {يا عبادِ لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون. الذين ءامنوا بآياتنا وكانوا مسلمين. ادخلوا الجنّة}. لماذا جاءت هنا في الموضعين {عباد} بدون اليا، بينما هناك جاءت {عبادي} باليا؟ الفرق هو موضوع الكلام. في آية اليا كان المُخاطَب هم {الذين ءامنوا}، فلما خاطب الذين ءامنوا قال {عبادي}. لكن في الآية الأولى كان الكلام عن النار وتخويف الله عباده فقال {يا عباد فاتقون} فالكلام عن العباد عموماً وفي موضع إنذار من النار فالكلام عن مُنذَرين منهم الكافر ومنهم المؤمن ومنهم المتقي ومنهم غير التقي، فحذف يا النسبة. كذلك في الآية الثانية الخطاب للعباد عموماً في موقف الحساب قبل دخول الجنّة، فجاء النداء العام {يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون} لكن لم يحدد مَن هؤلاء بعد، فجاء بعدها وخصص وقيّد {الذين ءامنوا بآياتنا وكانوا مسلمين} في ذلك الموقف سيودّ الذين كفروا "لو كانوا مسلمين" كما جاء في آية أخرى، فلمّا كان النداء عامّاً حذف يا النسبة.

الآن، تأمل هذه الآية التي فيها خطاب الرسول بأمر الله. {قل يا عباد الذين ءامنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب}. ثم قارنها بهذه الآية {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم}. ما الفرق بينهما؟ لماذا في الأولى {قل يا عباد} بدون يا النسبة إلى الرسول القائل فإن القائل هنا هو الرسول بدليل {قل}، ولماذا في الأخرى {قل يا عبادي} بيا النسبة للرسول القائل؟ الفرق في موضوع الآية والمُخاطَبين بالنداء. في الآية الأولى خاطب {الذين ءآمنوا} فقال {يا عباد} لم ينسب عبوديتهم إلى الرسول القائل لأنهم من الذين ءامنوا، ولذلك حصر عبوديتهم بربهم {اتقوا ربكم}. لكن في الآية الثانية خاطب {الذين أسرفوا على أنفسهم} فقال {يا عبادي} فجعلهم عباد الرسول، لأن كونهم من {الذين أسرفوا على أنفسهم} يفصلهم عن شرف النسبة إلى الله تعالى، لكنه لم يُرد أن يقطعهم بالكلّية فنسبهم إلى الرسول، كما قال "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول" فمَن يسمع الأمر من الله يطيع الله، ومَن لا يسمعه من الله لكن يسمعه من الرسول فليطع الرسول. كذلك هنا، الذين ءامنوا رفع الحجاب بينهم وبين ربهم فاتصلوا به وانتسبوا إليه، لكن الذين أسرفوا وضع الحجاب بينهم وبينه ونسبهم إلى الرسول.

تأمل هذا واعلم من أين جاء هذا الكتاب، في معانيه وفي مبانيه.

...

قال بعضهم ما حاصله: الجنّة كما وصفها القرءان تافهة وسخيفة كأنها حظيرة أغنام أكل وشرب وجماع وما أشبه، فهل هذا أقصى ما تطمح إليه أعين الإنسانية؟

أقول: أوّلاً، هذه حجّة خطابية عاطفية لا تحصيل فيها. لأنه لا يُحدد ما هو البديل بالضبط الذي "يطمح" إليه هذا المعترض.

ثانياً، وهو الأهمّ، جوهر الجنّة في القرءان مُحَدد بخمسة أمور، بغض النظر عن أي صورة أخرى. الأول "لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد" أي تحقق المشيئة الإنسانية مطلقاً إلى ما لا نهاية، فما "تطمح إليه أعين الإنسانية" أيا كان فهو متحقق فيها لأن لب السعادة تحقق المشيئة وفي الجنّة تحقق المشيئة، بغض النظر عن الصورة سواء كانت "تافهة" في عين زيد دون عبيد أو غير تافهة، فلكل إنسان مشيئته الخاصة وسعادته في تحققها وهو المضمون في الجنّة. الثاني "إلى ربها ناظرة" سواء قلت بالنظر الإلهي أو بمعنى النظر إلى تنزّل رحمة الله، أيا كان، فالمعنى هو أن الوعي بالله والنظر إليه واستشعار وجوده سيكون أمراً حياً حقيقياً قائماً بلا حجاب بدليل أنه أثبت الحجاب للكافرين "إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون" فأصحاب الجنّة لا حجاب بينهم وبين ربهم. الثالث "أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين"، يعني معية أهل النور "يقوم النبي والذين ءامنوا معه ربنا أتمم لنا نورنا" وقال "لهم أجرهم ونورهم". الرابع "رب ابن لي عندك بيتاً في الجنّة" أي عندية ربك "رب..عندك"، وهو عالَم البقاء وعدم النفاد "ما عندكم ينفد وما عند الله باق". الخامس "دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين" وتعني استجابة الدعاء مطلقاً لهم، وشهود عطاء الله لهم "وسقاهم ربهم شراباً طهوراً". هذا جوهر الجنّة إذن، شهود الله وفعله وكرمه ويده وحضوره وإجابته وعنديته ورفقة أهل محبته ونوره.

وأما ما سوى ذلك فأمثال مضروبة تتناسب مع جوانب ذات الإنسان المختلفة، مثلاً التنعّم بالمعادن "يحلّون فيها أساور من ذهب"، والتنعم بالنبات "جنّات"، والتنعم بالحيوان "ولحم طير"، والتنعم بالإنسان "مع الذين أنعم الله عليهم"، والتنعم مع الزوج "هم وأزواجهم"، والتنعم بالزمان "إن أصحاب الجنّة اليوم في شغل فاكهون" "خالدين فيها أبدا"، والتنعم بالمكان "لا يبغون عنها حِولاً". والتنعم بكل ما يمكن التنعم به من أصناف الموجودات "فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين". فالأمثال صور على جواهر، والقرءان بيّن الجواهر بصور مختلفة، والتركيز على الصور دون الجوهر هو عين الكفر الذي حذّر منه القرءان "ولقد صرفنا للناس في هذا القرءان من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً". ولما كان العلم من أسس سعادة النفس قال "يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" وقال "هم درجات عند الله"، وأثبت التناظر ما بين الجنان والقرءان حتى قالوا في الأثر "عدد درجات الجنّة على عدد

ايات القرءان" وقال النبي بأن منزلة صاحب الجنّة بحسب قراءته للقرءان، فالمعنى أن الجنّة دار علم إلهي لدني وتلقي لكلام الله باستمرار وإلى الأبد وصعود في معارفه. فلا يوجد جزء من أجزاء الذات الإنسانية إلا وله نعيمه، ونعيمه هذا في الجنّة أيا كان وبغير حد وإلى ما لا يتناهى بإذن الله ورحمته وفضله العظيم.

...

رُوي عن أنس أن سورة التين لما نزلت {فرح لها فرحاً شديداً حتى بان لنا شدّة فرحه} لماذا؟ ظهر لي ليلة أمس معنى لذلك ذقته أثناء قراءة السورة بفضل الله. وذلك في خاتمتها {فما يُكذّبك بعدُ بالدين. أليس الله بأحكم الحاكمين}. طيب، لماذا الفرح الشديد بهاتين الآيتين؟ لأن الله العلي العظيم يخاطبك فيقول لك {فما يُكذّبك بعد بالدين}، فالله نفسه يريد إقناعك بالدين، ويتلطف معك ولك، ويتنزّل في البيان لك. ثم يقول لك {أليس الله بأحكم الحاكمين} فصار يسألك بهذا السؤال اللطيف ويجعل عقلك محلاًّ لمثل هذا السؤال فجعلك أهلاً لمثل ذلك وهو أمر عظيم لمن ذاقه وشعر بلطفه. فالآية الأولى أثبتت حريّتك المطلقة في الدين فالله تعالى نفسه لا يريد إكراهك لكن يريد إقناعك {فما يُكذّبك بعد بالدين}، والآية الثانية أثبتت أهمّية عقلك وفهمك وتقرير الله لقيمة عقلك حين يقول لك {أليس الله بأحكم الحاكمين} فجعلك حكماً عدلاً في هذه المسألة المتعلقة بالله وأسمائه وعلو شأنه. هذه السورة لخّصت في آيتين منها جوهر العظمة الإنسانية التي خلقها الله ورفع شأنها، إرادةً وعقلاً.

...

النفس تتفطّر كما أن الجسم يتفطّر، فلابد من أن تعمل أعمالاً تناسب النفس حتى تقيمها وتسعدها. وسعادة النفس في الصلة بالله، والاتصال بكل شيء بعد ذلك بالله وليس بغير الله ولا من دون الله. {والملائكة يسبّحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض} فالتسبيح بينهم وبينه، والاستغفار منهم لربهم لَمن في الأرض فحتى اتصالهم بمَن في الأرض يكون بالله.

استغفروا لَمن في الأرض من الذين ءامنوا "فاغفر للذين تابوا". لأن الاستغفار دعاء بالرحمة ودعاء الملائكة مقبول كما قال في خاتمة الآية {ألا إن الله هو الغفور الرحيم}، فلو كان المقصود أن الملائكة تستغفر لمطلق مَن في الأرض لما وجد كافر على وجه الأرض ولما مات أحد على الكفر ودخل النار، وليس كذلك. الملائكة تستغفر بسبب المناسبة التي بينها وبين النفوس التي تستغفر لها، وهي نفوس الذين ءامنوا واتبعوا سبيل الله كالملائكة "ويؤمنون به". وذكر الله لنا حال السموات والملائكة حتى نعلم حال عالَم نفوسنا ونفوسنا والأمثلة الحسنة لها التي هي أمثلة الملائكة.

{يسبّحون بحمد ربهم} ما الفرق بين التسبيح والتسبيح بالحمد؟ التسبيح نفي لصفة النقص، والتسبيح بالحمد إثبات لصفة الكمال مع نفي النقائص عن هذه الصفة الكمالية. فالتسبيح أساس التحميد، وبدونه قد يكون التحميد شركاً وكفراً، كأن تنسب لله العلم وتحمده به ثم تنسب العلم للناس وتحمدهم به فتشرك بالله، والحق أن العلم عند الله وحده "والله يعلم وأنتم لا تعلمون" وما ما تجلى فيك من العلم فيشبه تجلي الشخص في المرآة فليس للمرآة شيئاً من الشخص على الحقيقة وتبقى فقيرة الذات حتى إن تجلّت صورته فيه. فالتسبيح نفي لقوله "سبحان الله عمّا يصفون" و "سبحانه وتعالى عمّا يشركون". لكن التسبيح بالحمد فيه " قل الحمد لله" و "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب" و "الحمد لله الذي أسرى بعبده" و " الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور". فحين تقول "الحمد لله" يعني كل صفة كمال حقيقتها لله على الإطلاق وبنحو لا يشاركه فيه مخلوق في العالمين على الإطلاق، وما ظهر في الخلق لا يدلّ على حقيقة ما في الحق تعالى لأن ما في الخلق عطاء وعرض ومحدود وتابع لما لله تعالى.

...

في تسبيح سيدتنا فاطمة عليها السلام، ورد التكبير ثم التسبيح ثم التحميد، لماذا؟ لأن التكبير يجعلك تدرك أن كل تسبيحك وتحميدك محدود بعقلك، فتبدأ بمعرفة قدرك، ثم تدخل في التسبيح تنفي عن الله النقائص وتتطهّر بذلك، ثم تدخل في التحميد فتثبت له الكمالات على الإطلاق، لكن ذلك كله بقدر عقلك ولذلك تبدأ بقول "الله أكبر" حتى لا تتوهم أن تسبيحك وتحميدك هو عين ما الله تعالى عليه في حقيقة ذاته المقدّسة المتعالية. فالله علي أعلى متعال، ثلاثة أسماء في العلو في القرءان، فهو أعلى من تكبيرك وأعلى من تسبيحك وأعلى من تحميدك، فله العلو مطلقاً، "ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء" فهذا في علمه وليس في عين ذاته المتعالية وعلمه يشتمل على الأشياء "بكل شيء عليم"، وأما عن ذاته فقال "ولا يحيطون به علماً"، فتبدأ بالتكبير حتى تتذكّر أنه محيط بك ولست محيطاً به وأنه يدركك ولا تدركه، ثم تُسبّح ما يظهر لك من النقائص كصفات المخلوقين، ثم تحمد بما ظهر من الأسماء الحسنى في العالمين كالحياة والعلم والقدرة واللطف والرحمة والعزة والغنى والقوة والجمال والجلال.

...

{إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا} إذا قمتم إلى قراءة القرءآن فاقرأوا الحروف "حم. عسق" فإنها ماء القرءان، لأن كل حرف ماء يتشكّل ويتلوّن بلون إناء الكلمة، فالحا مثلاً هي

حا "يحبهم" وحا "حميم" وحا "حرام"، لكن أين الحبّ من عذاب الحميم من الحرام الشرعي، دخلت الحا فاختلطت بنبات أرض الكلمة وتلونت بها وغذّتها بحقيقتها.

...

{أقم الصلاة} ورد هذا الأمر في القرءان خمس مرّات بالضبط. ثلاثة منها في آيات أمر، واثنان منها في آيات خبر مرّة عن موسى {أقم الصلاة لذكري} ومرّة عن قول لقمان لابنه {يا بني أقم الصلاة}.

أوّل آية أمر بإقامة الصلاة هي {أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين}

لاحظ أن هذه الآية هي الآية ١١٤ من السورة. و١١٤ هو عدد سور القرءان الذي هو مادّة الصلاة "وقرءان الفجر".

كذلك الآية مكوّنة من قسمين، الأول أمر والثاني خبر، وكلاهما مكوّن من سبعة كلمات بالضبط. فقوله {أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل} أمر شرعي من سبع كلمات. وقوله في تفسير حكمة ومقصد ذلك الأمر {إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين} أيضاً من سبع كلمات، وهذه تنقسم بدورها إلى جزئين، الأول {إن الحسنات يذهبن السيئات} يتعلق بالأعمال وهي للإرادة، والآخر {ذلك ذكرى للذاكرين} يتعلق بالذكر وهو للعقل، وكذلك الصلاة هي إصلاح الإرادة والعقل، حسنات وذكر، الحسنة ضد السيئة والذكر ضد الغفلة.

ثم الآية بيّنت كم صلاة؟ {طرفي النهار} اثنان، {زُلفاً من الليل} الزُلف جمع وأقلّه ثلاثة. فهذه خمسة تفصيلاً على الأقلّ.

ثاني آية هي {أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهوداً.}

لاحظ أن هذه الآية هي الآية ٧٨ من السورة، وهذا عدد الحروف الفواتح مع المكرر، يعني " الم" و "الر" و "ن" ونحوها، فإذا جمعت عدد هذه الحروف ستجده ٧٨ بالضبط. فهي مع المكرر ٧٨، وبدون المكرر ١٤ حرفاً. وارتباط هذه الحروف بالكتاب أمر معروف بمجرّد قراءة آياتها، فإنها كلها باستثناء اثنتين ولا استثناء في الحقيقة مذكورة كآيات للكتاب والوحي، وأما "الم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم." فقال بعدها "نزّل عليك الكتاب". وأما "الم. غُلبت الروم" فذكر بعدها الكتاب التكويني "وهم من بعد غلبهم سيغلبون" وذكر أمر الله "لله الأمر

من قبل ومن بعد". فكلها مرتبطة بالكتاب الموحى به، ومرّة بمصدر الوحي، ومرّة بمسرح ظهور أمر الله الذي هو العالَم وأحداث الناس "يومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله".

بيّن سبحانه معنى "طرفي النهار" في الآية الأولى بهذه الآية حين قال {لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرءان الفجر}، فالفجر طرف النهار الأول الطالع ودلوك الشمس طرف النهار الثاني النازل، وغسق الليل فيه "زُلفاً من الليل"، هذا وجه. الوجه الآخر، أن {لدلوك الشمس إلى غسق الليل} هو بيان "طرفي النهار"، وقوله {قرءان الفجر} هو بيان "زلفاً من الليل" لأن الفجر يكون في الليل عند نهايته. الوجه الثالث ولعله الأقوى هو أن "طرفي النهار" هي {لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرءان الفجر} يعني الطرف الأول هو من الدلوك إلى الغسق، والطرف الثاني هو الفجر. وأما "زلفاً من الليل" فهي ما جاء بعد هذه الآية {ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً}، فقوله "زلفاً من الليل" يشير إلى الصلاة النافلة، لكن قوله "طرفي النهار" يشير إلى الصلاة المكتوبة. فهذه الآية محل النظر الآن تبيّن الصلاة المكتوبة التي هي صلاة طرفي النهار {لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرءان الفجر}، والآية التي بعدها {ومن الليل فتهجد به} تبيّن الصلاة النافلة "زلفاً من الليل" لذلك الزلف من معانيها الدرجات وكذلك ذكر في صلاة النافلة في سورة المزمّل تلك الزلف حين ذكر الثلث والنصف والثلثين فهي درجات الليل.

ومن العجيب أن سورة الإسراء هي السورة رقم ١٧ في الترتيب. فتأمل. وأما سورة هود فترتيبها ١١، ويشير إلى "صلِّ لربك" فأنت واحد فصلِّ لواحد وصورة ذلك العددية هي ١١.

والعجيب أيضاً أن آية سورة هود مكوّنة من ١٤ كلمة وكلمة الصلاة منها هي الكلمة الثانية، وكذلك بالضبط آية سورة الإسراء مكوّنة من ١٤ كلمة وكلمة الصلاة منها هي الكلمة الثانية. {وأقم الصلاة طرفي النهار} من سورة هود، {أقم الصلاة لدلوك الشمس} من سورة الإسراء}. والعدد ١٤ هو عدد الحروف الفواتح بدون المكرر منها، والعدد ٢ الذي هو ترتيب ظهور كلمة الصلاة يدلّ على عدد الصلوات المكتوبة غير النافلة كما مرّ. بل حقيقة الصلاة هي أن تعرف أنك أنت في المقام الثاني تحت الله تعالى الذي له العلو والأولية، وهذا لب الصلاة أن تكون عبداً لربك "فصلّ لربك" والعبودية لها الاثنينية. ويشهد لأهمّية هذه الأعداد أن الآية الثالث التي ذكرت الصلاة هي من سورة طه هي الآية ١٤، وعدد كلماتها ١١.

الآية الثالثة هي {إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري}

الآية خبرية عن موسى. فبعد أن ذكر الأمر ذكر خبراً ومثالاً "فبهداهم اقتده". وأصل الصلاة تحقيق مقام التكليم، وهو الذي يعبّر عنه موسى "وكلّم الله موسى تكليماً".

إقامة الصلاة هنا هي الأمر الثاني لموسى، فالأمر الأول هو العبادة {فاعبدني} والثاني هو {وأقم الصلاة}، وقد مرّ علاقة الصلاة بالاثنينية، وظهرت هنا الاثنينية أيضاً.

ذكر التوحيد {إنني أنا الله لا إله إلا أنا} ثم ذكر العبادة {فاعبدني} الذي هو الدعاء، ثم ذكر إقامة الصلاة، يدل على وجوب تقدّم أمور على الصلاة حتى تُمكن بإذن الله إقامتها. فبدون ذكر التوحيد لا صلاة، وبدون العبادة بالدعاء والتحرر من الخلق فلا صلاة. قال {فاعبدني} وليس "فادعوني" مع أن الدعاء عبادة كما في آيات أخرى "ادعوني..إن الذين يستكبرون عن عبادتي" لأن العبادة لله تعني التحرر من غير الله وتعني الدعاء، فالعبادة أشمل من مجرّد الدعاء وإن كان الدعاء مظهرها، ومن هنا أهمّية الحرية من الخلق لتحقيق عبادة الحق، ومنه القتال لرفع الإكراه في الدين "قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله" وقال "كله لله" في أخرى، فالدين هو العبادة فمن كان تحت إكراه إنسان آخر في دينه فدينه ليس كله لله بعد ولذلك جاء الأمر بالقتال لتحرير الناس في الدين "لا إكراه في الدين" وحتى لا يوجد إلزام ولا عقوبات على ترك الدين. ومن هنا جاء في ذكر عن النبي " مخلصين له الدين ولو كره الكافرون" أو المشركون وما أشبه، فهذا من العبادة لله والتحرر من الناس والخلق.

ربوبية الله ظاهرة في خلقه، لكن ألوهية الله تظهر بأمره، فمَن عبد الله وحده فلم يكن عبداً لإنسان ولا مخلوق ودعا الله وحده كإله، وأقام الصلاة لذكره، فقد ألَّه الله وهو إلهه. ربوبية الله لك غير مكتسبة بل هي واقع حتمي عرفته أن جهلته، لكن ألوهية الله لك مكتسبة بعبادته وإقامة الصلاة لذكره.

الآية الرابعة {اتلُ ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون}

التلاوة الاتباع. فقصد اتباع كتاب الله أصل يأتي بعده الصلاة.

كذلك التلاوة بمعنى القراءة العاقلة بغير وقت محدد أوسع من التلاوة في وقت محدد الذي هو وقت الصلاة "إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا"، فقدّم ما لا وقت له على ما له وقت.

قوله {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} بيان لقوله السابق "إن الحسنات يذهبن السيئات". وقوله {ولذكر الله أكبر} بيان لقوله "ذلك ذكرى للذاكرين" وقوله "أقم الصلاة لذكري".

الآية الخامسة {يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور}

هذه الآية رقم ١٧.

{بيّن هنا أن بعد إقامة الصلاة سيمكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا نوع آخر من البيان وذكر لآثار الصلاة. فهي بيان لقوله "إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر" وكما قالوا لشعيب "أصلواتك تأمرك" ثم ذكروا أمراً يتعلق بالعبادة وأمراً يتعلّق بالمال أي أمر بينهم وبين ربهم وأمر بينهم وبين أمثالهم من الناس والخلق. فالصلاة تنهى وتأمر.

هذه الآيات الخمس التي فيها أمر بإقامة الصلاة. الآية الأولى مكونة من ١٤ كلمة، والثانية من ١٤، والثالثة من ١١، والرابعة من ٢١، والخامسة من ١٨. فإذا جمعنا هذه الكلمات كلّها سنجد أنها ٧٨ كلمة. وهو بالضبط عدد حروف السور الفواتح، الذي هو عدد آية سورة الإسراء {أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل}.

...

ذكر أربعة عشر حرفاً في فواتح السور، حتى يُخرج الناس من الأمّية إلى القراءة والكتابة.

فإن قلت: فلماذا لم يذكر بقية حروف العربية بل ذكر نصفها فقط؟ فجواب ذلك في قوله تعالى {ها أنتم أولاء تحبّونهم لا يحبّونكم وتؤمنون بالكتاب كلّه} لماذا لم يقل: ويؤمنون بالكتاب بعضه أو لا يؤمنون بالكتاب كلّه كما قال {تحبّونهم ولا يحبّونكم}؟ الجواب: لأن القرءان لم ينزل للحمير. نزل للعاقلين والمتفكرين. فلمّا ذكر {تحبونهم ولا يحبونكم} ثم ذكر {وتؤمنون بالكتاب كله} فالمفهوم من هذا هو: ولا يؤمنون بالكتاب كله أو يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض. شغّل عقلك. كذلك مثلاً في قوله {ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم مَن قصصنا عليك ومنهم مَن لم نقصص عليك} فلماذا لم يقصص عليه البقية؟ لأن في ما قصّه كفاية في البيان، فاعرف حال البقية من ما ذكره. هذا جواب مسألة الحروف. ذكر ١٤ حرفاً، حتى تعرف باقي الحروف بنفسك، وتستخرجها استنباطاً وتحليلاً.

فإن قلت: فكيف نعرف أسماء الحروف التي لم يذكرها؟ لأننا عرفنا اسم الألف بأنه "الألف" بتعليم النبي، وكذلك "حا" و "ميم" وبقية الأربعة عشر حرفاً، فكيف نعرف أسماء الضاد والذال والظا والبقية وهي غير منصوص عليها في القرءان؟ الجواب: الرسول الذي علّم النصف بتعليم الله له وحياً علّم الصنف الآخر بتعليم الله له فهماً. لأنه قرأ الحروف ففهمه الله إياها، "ورتّل القرءان ترتيلاً. إنا سنُلقي عليك قولاً ثقيلاً".

...

ورد الأمر بالتسبيح بالغدو والآصال، فما هو حدّ الغدو والآصال؟ الجواب في آية {لله يسجد..وظلالهم بالغدو والآصال} الظلال لا توجد إلا حين تكون الشمس صاعدة أو نازلة، والوسط الذي هو عمود الظهيرة لا ظلال فيه للأشياء التي تكون الشمس عمودية عليها، فحيث أن الشمس بالنسبة لأي شيء قائم هي إما صاعدة وإما فوقه وإما نازلة، والفوق لا يُسبب ظِلاًّ، فلا يبقى إلا واحد من اثنين، ولذلك قال {وظلالهم بالغدو والآصال}، فالغدو حين تكون الشمس في صعود، والآصال حين تكون الشمس في نزول، من بعد طلوع قرص الشمس إلى نزول قرص الشمس، يعني من الشروق إلى الغروب، لكن الغدو ليس نقطة شروق الشمس بل يبدأ من ظهور قرص الشمس إلى ما قبل الظهيرة، والآصال من بداية نزول قرص الشمس إلى غروب القرص حيث تنقطع الظلال.

...

{الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزّل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً}

الله له الخلق والأمر. الخلق {الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن}، الأمر {يتنزّل الأمر بينهن}.

الخلق مقصده بيان {أن الله على كل شيء قدير}. الأمر مقصده بيان {أن الله قد أحاط بكل شيء علماً}.

فالخلق علامة القدرة، والأمر علامة العلم.

...

{ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلّوا السبيل} هؤلاء حكام الظلم، في عصرنا هم مثل ملوك السعودية.

{أم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين ءامنوا سبيلاً} هؤلاء شيوخ الجهل، في عصرنا هم مثل شيوخ الوهابية.

تضليل الأمّة وجعلهم عبيداً للدولة وتضليل الناس وإشغالهم بكل غباء ممكن، هذا شأن ملوك الظلم. وأما شيوخ الوهابية فعقيدتهم في الإله تجعله جبتاً أي صنماً وكذلك هي مبنية على المخيلة وما يسحرون به أعين عقول الناس بألفاظهم الكاذبة. وهم بعد ذلك يعبدون الطاغوت، يعبدون ملوكهم الطاغين ويعبّدون الناس لهم. ثم تجدهم يقولون {للذين كفروا} ككفار اليهود والنصارى بأنهم أهدى {من الذين ءامنوا سبيلاً} وهذا ما تجده في كتب طاغيتهم الأكبر ابن عبد الوهاب فمن بعده ممن يدعي بأن المسلمين أكفر من اليهود والنصارى، طبعاً هو لا يسمّيهم المسلمين أصلاً.

...
إذا أردت دراسة الآية فابدأ بتحديد محور لها، وقد يكون المحور أي جزء منها، ثم اجعل باقي الآية تدور حول المركز النظري الذي اخترته وأردت معرفته.

...
قالت: { فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ } { فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ } رغم إن الشيطان أزلهما أي آدم وحواء لكن الكلمات تلقاها آدم دون حواء والتوبة كانت لآدم.

قلت: {قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين} لاحظي {قالاً} يعني هو وزوجه. آدم وزوجه واحد، {اسكن} خطاب لآدم ثم فصّل {أنت وزوجك}، كما أن {أدعو إلى الله} ضمير راجع إلى الرسول وحده ثم فصّل {على بصيرة أنا ومَن اتبعني} فالداعي هو الرسول في الحقيقة وإن كان في صوة شخصين هما {أنا ومَن اتبعني} فتابعه منه "مَن تبعني فإنه منّي". بالتالي التوبة على آدم تعني التوبة عليه وزوجه.

...
{وهل أتاك حديث موسى. إذ رأى ناراً} بداية التنوير رؤية النار. النار مَثَل على كل ما يصدر منه كلام الله من مصادر في الأرض، فكتاب الله نار، العالِم بالله نار، لذلك قال بعدها {لعلّي آتيكم منها بقَبَس أو أجد على النار هُدى} فالقَبَس من الكتاب، والهُدى هم الهداة أي أولوا الألباب.

{فقال لأهله امكثوا} بعد رؤية النار فوراً {قال لأهله امكثوا} فالنار سبب للتفريق بين الفرد وأهله، لكنه تفريق للوصل وليس للفصل، يعني سيرجع إليهم وليس للابتعاد عنهم بالكلية ومفارقتهم بل ينفصل عنهم ليتصل بهم اتصالاً نافعاً {لعلي آتيكم منها بقبَس} فالرجل مَن نفع أهله وليس مَن يُضرّ بهم، هذا بالنسبة {لأهله} الذين يطيعونه في أمره {امكثوا} ويؤمنون بوعده وعقله {لعلي آتيكم منها}. كذلك لابد لكل مريد للعلم الإلهي من خلوة وفصل وانقطاع عن أهله ولو لفترة قصيرة.

{امكثوا} ورد الجذر في سبع آيات قرآنية. ست آيات منها اقترنت بجلب ماء وعلم ونفع وسعادة، واثنان وردت في أصحاب النار الأخروية.

اثنان منها في قصّة موسى، {امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس} و {لعلي آتيكم منها بخَبَر}.

وأوّل ظهور للكلمة في هذه الآية {انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال} فهذا شاهد النفع في الأرض، واقترن بالماء الذي هو سبب الحياة، كما أن كلام الله ماء النفس.

ثاني ظهور {وقرءاناً فرقناه لتقرأه على الناس على مُكث ونزّلناه تنزيلاً} والآية صريحة في تأويل مَثل الماء النازل من السماء، فإن النبي هو سماء عالَم الناس، وقراءته هي الإنزال، والقرءان هو الماء، والناس هم الأرض. فالظهور الأول تمثيل، والظهور الثاني تنوير بالتأويل.

ثالث ظهور في فواتح سورة الكهف {الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً. قيّما ليُنذر بأساً شديداً من لدنه ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً. ماكثين فيه أبداً.} فالمكث هنا للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، والإشارة للجنّة. فالله أنزل على النبي الكتاب من سماء الروح "نزل به الروح الأمين على قلبك"، فكان الروح هو السماء والنبي هو الأرض والكتاب هو الماء، ثم النبي صار سماءً لأرض الناس بماء القرءان. فمَن تشرّبت أرض قلبه القرءان نبتت الجنّة فيه وصار قلبه جنّة فكان مصيره الجنّة لأن المصيب مبني على التناسب ما بين القلب والعالَم الأبدي، "إنما تُجزون ما كنتم تعملون".

رابع ظهور من قصّة موسى {قال لأهله امكثوا} وفيه دلالة على كيفية السعي لنار الوحي، إذ موسى هو مَثل النفس القابلة لكلام الله، وكل نفس تسمع القرءان فهي موسوية الطبع لأن القرءان كلام الله "حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه"، "أو يُرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء".

خامس ظهور من قصّة سليمان والهدهد والإشارة للهدهد {فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تُحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين} والهدهد مَثل على الرسول، فالرسول بالنسبة لنا كالهدهد الذي جاءنا بنبأ يقين لم نحط به كما قال إبراهيم لأبيه "جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً". وقد ضرب الله مثالاً للملائكة بالطيور في قوله "جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة". فمهما كبر علمك أيها الإنسان، ولو بلغت مبلغ سليمان، فقد يكون هدهد أعلم منك ببعض الأمور، فلا تُنكر رسائل النور.

سادس ظهور من قصّة موسى {فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا} هذه حين تقضي أجل التعليم مع شيخك الكبير وبعدها يحصل لك الفتح.

الظهور السابع والأخير لأصحاب النار {ونادوا يا مالك ليقضِ علينا ربّك قال إنكم ماكثون} ظاهرها في أصحاب النار الذين أنكروا جنّة الوحي في الدنيا، فهي مقابل "ماكثين فيه أبداً" التي لأصحاب الجنّة، "ومن كل شيء خلقنا زوجين". باطنها يدل على أن أصحاب النار في الآخرة هم في نوع من التعليم على أيدي الملائكة، فموسى {رأى ناراً} ثم اعتبر وانتفع، فمَن لم ينتفع بنار الدنيا وجبت عليه نار الآخرة، "ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم".

تأمل هذا: سبع آيات، ستّة في أصحاب الجنّة وواحدة في أصحاب النار. وهي سبع مثل السموات السبع، كذلك الوحي سبع درجات كلّية، "وفي السماء رزقكم وما توعدون".

...

بعض آيات أصحاب النار تشير إلى أنهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا ينطقون، وبعضها الآخر يشير إلى سماعهم وإبصارهم ونطقهم، فما الحلّ؟

الجواب: كما أنهم كانوا في الدنيا منقسمون إلى ظاهر وباطن، فظاهرهم يسمع ويبصر وينطق لكن مع ذلك قال عنهم "صم بكم عمي فهم لا يعقلون" فأثبت لظاهرهم الحواس ونفاها عن باطنهم "لهم آذان لا يسمعون بها" و "لهم أعين لا يبصرون بها"، فكذلك في الآخرة "مَن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى"، ففي الدنيا عماهم كان باطنياً وإبصارهم ظاهرياً، كذلك في الآخرة سيكون نصفهم يبصر ونصفهم الآخر لا يبصر، ونصفهم يسمع ونصفهم الآخر لا يسمع، ونصفهم ينطق ونصفهم الآخر لا ينطق، "جزاءً وفاقاً".

...

سألني صاحبي عن الجمع ما بين {والجبال أوتاداً} و {تمرّ مرّ السحاب}.

أقول: آية {والجبال أوتاداً} جاءت في سياق الآيات الدنيوية الدالة على حقيقة نبأ الآخرة، فهي تبدأ بقوله {عمّ يتساءلون. عن النبأ العظيم} ثم يذكر الأرض والجبال والنوم ونحوها من آيات كلها ظاهرية دنيوية الآن لنا.

أمّا آية {تمرّ مرّ السحاب} فجاءت في سياق الآيات الأخروية. قال {ويوم يُنفخ في الصور ففزع مَن في السموات والأرض إلا مَن شاء الله وكُلّ أتوه داخرين. وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب} يعني الآن في الدنيا ترى الجبال تحسبها جامدة إلى الأبد بمعنى أنك تحسب جمودها لا يتغيّر لكنها بعد النفخ في الصور ستمرّ مرّ السحاب لقوله في آية طه "ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً. فيذرها قاعاً صفصفاً. لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا".

إذن الجبال أوتاد في الدنيا، تمرّ مرّ السحاب في الآخرة. هذا الجمع بينهما على مستوى الفهم الظاهري للنصّ.

أما في أحد درجات الباطن، فالجبال هم الربانيون. لأن السماء هم الأنبياء، والأرض هم الأحبار، وبينهما الجبال الذين هم الربانيون. والآية التي قبلها تتكلّم عن الأرض "ألم نجعل الأرض مهاداً. والجبال أوتاداً"، فالأرض هي كتاب الله، "أورثنا الكتاب" "الأرض يرثها". قال عن التوراة "يحكم بها النبيون..والربانيون والأحبار". ثلاثة أصناف. فالنبي حكمه كله سماوي، كله من الوحي. الحَبر حكمه كله أرضي، كله من الرأي. أما الرباني فمثل الجبال بعض حكمه سماوي وبعض حكمه أرضي، يعني يجمع ما بين المكاشفة والدراسة في فهم معاني الكتاب. فقوله {والجبال أوتاداً} يشير إلى أن الأرض لا تستقرّ إلا بالربانيين، وذلك لأن النبوة خُتمت من وجه، وكذلك لأن الناس عامّة مستواهم أقلّ من أن يفهموا الوحي، فلابد لهم من شيء أقرب لهم وهو الرأي، ولذلك يميلون إلى تعظيم الأحبار حتى أنهم عبدوهم "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله". لكن الاستقرار لعامّة مَن في الأرض لا يكون إلا بنوع من الكشف والوحي ولو اختلط بالرأي والبحث العقلي واللغة المنطقية الذهنية، وهذا دور الربانيين.

أمّا قوله {وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب} فيشير إلى خاصّية الربانيين التي تجمع ما بين الظاهر {تحسبها جامدة} والباطن {تمرّ مرّ السحاب} فالسحاب شيء سماوي، ينزل منه ماء السماء، كذلك الرباني مَن ينظر إلى كلامه بعين الظاهر يحسبه ناشئاً من الرأي الجامد والمنطق المتجمّد، لكن باطن كلامه فيه من ماء سحاب النبوة السماوية.

...

قال: لو بينت لنا بما فتح الله لك تأويل قوله تعالى(وذا النون إذ ذهب مغاضبا). السؤال لماذا ورد الخطاب بالصفة (ذا النون) ولم يرد في الاسم وماهو النون؟ الذي اصبح صفة يتصف بها نبي من الانبياء؟

قلت: النون هو الحرف، ولذلك جاء قوله "لا تكن كصاحب الحوت" في سورة النون "ن والقلم وما يسطرون. وما أنت بنعمة ربك بمجنون". النون هو الحرف، والقلم وسيلة الكتابة، وما يسطرون هو الوحي الذي هو نعمة ربك، بالتالي القلم يستمدّ ما سيكتبه من النون، فكل حرف مثل المِداد "لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا".

كل نبي له ثلاثة أسماء، تتناسب مع درجات وجوده الثلاثة، وهي الدرجات الإنسانية الثلاثة. مثلاً "المسيح عيسى بن مريم" ومرّة قال "ابن مريم" فقط، فالمسيح اسم، وعيسى اسم ثاني، وابن مريم اسم ثالث "وجعلنا ابن مريم وأمّه آية" فهو اسم مستقل. كذلك هنا، ذا النون اسم، ويونس اسم ثاني، وصاحب الحوت اسم ثالث. فالحوت ليونس مثل مريم لعيسى، لذلك

كان في بطن الحوت "للبث في بطنه إلى يوم يبعثون" كما كان عيسى في بطن أمّه. الإنسان له ثلاث درجات، جسم ونفس وروح، كما قال في آدم "من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي". المسيح اسم الروح، وعيسى اسم النفس، وابن مريم اسم الجسم. كذلك هنا، ذا النون اسمه الروحي، ويونس اسمه النفسي، وصاحب الحوت اسمه الجسماني.

سمّاه الله في كل آية بحسب مضمون الآية وما تشير إليه. فمثلاً، لمّا كان الكلام عن النهي عن التشبّه به وحالة ظلمة قال " اصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم. لولا أن تداركه نعمة من ربه لنُبذ بالعراء وهو مذموم. فاجتباه ربه فجعله من الصالحين" فهذا حال الوعي الجسماني، حالته "مكظوم" و "مذموم"، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً بذاته لتغيير حالته بل لابد له من "تداركه نعمة من ربه" و "فاجتباه ربه فجعله"، فالجسم بذاته مثل الطين لا يفعل شيئاً في ذاته بذاته، وكذلك الأصل في البشر الجزع والفزع والهلع وكلها مضادة للصبر فلمّا قال له "اصبر لحكم ربك" دلّه على أمر فوق جسماني، فضرب له مثلاً بالذي يحدث في الإنسان حين يتجسّم ويتكثّف وعيه في أسفل أجزائه ويهبط لأقلّ عوالمه.

لكن لمّا كان الكلام عن العمل الروحي الأسمى قال {وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين} الذهاب تصرّف والتصرّف للإرادة الحرة وهي للروح، والغضب صفة ربانية فلذلك تظهر في الروح، والظنّ عمل عقلي وهو من أعمال الروح، الثلاثة {ذهب مغاضباً فظنّ} تشير إلى الروح حين اختلطت بالظلم في إرادتها ومشاعرها وفكرها، وظنّه هذا أنتج تخيلاً خاطئاً، فجمع في هذه الآية الإرادة والفكر والشعور والخيال بالصور الظلمانية. لكن عندها أشرقت الروح بالكلمة النورانية {لا إله إلا أنت سبحانك} العلم بالتوحيد والتسبيح من شأن الروح والنطق بهما من عمل الروح النوراني ولذلك لمّا نطق بهما قال {إني كنت من الظالمين} لاحظ {كنت} بالماضي، مما يدل أنه بمجرّد النطق بهاتين الكلمتين على الشهود {أنت} {سبحانك} فكان في شهود لله تعالى وليس "لا إله إلا الله" و سبحان الله" مثلاً، بل {أنت} و {سبحانك}، حينها تحرر من الظلمات وصار في حضرة النور. فبقوّة النون وتفعيلها فيه أنطقه الله بهذه الكلمات المقدسة.

قوم يونس كفروا به فتركهم وذهب مغاضباً لهم وظن أن الله لن يغيّر له نفسه حتى وإن ترك الرسالة لقومه والصبر عليهم بحجّة "عليكم أنفسكم لا يضرّكم مَن ضلّ إذا اهتديتم" و "لا تُكلَّف إلا نفسك" و "لا تملك نفس لنفس شيئاً" و "كلهم آتيه يوم القيامة فرداً" وبقية الآيات التي تشير إلى المسؤولية الفردية. وكذلك الآيات التي تدل على الفطرة الإلهية في كل الناس، ونحوها من الآيات الدالة على عدم حاجة الناس جوهرياً إلى رسول ولا رسالة لأن الرسول في أنفسهم في فطرتهم والرسالة في آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم، والله معهم أينما كانوا،

والاضطرار كافي لجعلهم في حالة العبادة الخالصة. بمعنى أن علمه باستغناء الناس عن الرسالة بواسطة إنسان جوهرياً، وكل ما وضعه الله تعالى من أوتاد الرسالة في الوجود خارجهم وداخلهم، جعله يذهب ويتركهم. فلم يذهب إلا بناء على مذهب أصله صحيح. ولم يغضب إلا كما غضب موسى حين رأى قومه عبدوا العجل استعجالاً أي كان غضباً في محلّه ولله لأنه رأى قومه كفروا نعمة رسالته بالرغم من أنها نعمة مضاعفة وتيسير عظيم لهم ورحمة بهم، ولم يظن إلا بناء على أصول صحيحة في الجملة.

إلا أن ما فاته هو أن بعث الله له لابد من قبوله وله حكمة خاصة لا يمكن الاستغناء عنها بأي فعل أو آية أخرى. فلكل فعل إلهي حقيقته الخاصة التي لا يعوّض عنها غيرها تمام التعويض. كذلك الرسالة لإقامة الحجّة عليهم يوم الدين بأنه جاءهم نذير، والحجّة نقيمها لله وليس لأنفسنا ولا لقومنا، فهي مظهر خاص من مظاهر رحمة الله وعدله في خلقه، فبغض النظر عن إيمان أو كفر الناس فإن إنذارهم من أمر الله الذي يريده الله لنفسه حتى لا يكون لأحد من أصحاب النار عليه حجّة يوم الحساب، فهذا من لطف الله العظيم اللطف. ووجوه أخرى من الحجج.

لماذا التقمه الحوت؟ لأن حوت الطبيعة المادية التقم نفوس قومه، وتركهم هو في ظلمتهم بدلاً من أن يعطيهم نور {لا إله إلا أنت سبحانك} ويصبر عليهم. فلمّا عامل قومه بالإعراض وتركهم في حوت كفرهم، عامله الله بمثل ما عامل به قومه وتركه في حوت ظلمته. لكن أدركه الله بنعمته وتاب وأناب فأنقذه مما هو فيه. ما يفعله الرسول بقومه يفعله الله به، فالرسول قطب قومه ومرآة أحوالهم. وما يفعله القوم برسولهم سيفعله الله بهم، كما قال مثلاً "وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً" فإن أخرجوه أخرجهم.

...

سألتني عن زلزال ونقلت لي إنذاراً عن علماء ليبيين حذّروا من الفيضان ونقلت لي أيضاً المال العام الذي رُصد لإصلاح السدّ ونُهب طبعاً، وسألتني عن ذلك وهل هو أمر كتبه الله علينا. فقلت لها: بالنسبة لموضوع الزلال والفساد: جاءهم النذير وكفروا به، وسرقوا وأعرضوا، فحصل ما جاء به النذير. هذه آية أيضاً لما يقوم به الرسول وأهل القرءان مع الناس بالنسبة لزلزال "إذا زُلزلت الأرض زلزالها"، يعني مثال على أهمّية اتباع النذر وإصلاح ما فسد قبل حلول الكوارث. أمّا بالنسبة لوضع ليبيا خصوصاً، فهو فساد بحت كما تفضلتي وسرقة للمال العام. هم المسؤولون عنه كما أنه لو أخذ شخص سكيناً وطع بها بريئاً فهو المسؤول عن ذلك. "ما أصابك من سيئة فمن نفسك".

ثم نقلت لي حواراً بين نائب ليبي يدافع بحجّة القضاء والقدر عن الحادثة وردّ صحفي عليه بأنه من الفاسدين المسؤولين عن الحادثة، وسألتني عن رأيي في ذلك فقلت: طيب، إذا في يوم من الأيام راح هذا النائب على بنشري يصلح له سيارته ودفع المبلغ لتصليح عجلات السيارة، فراح البنشري نصب عليه وأخذ ماله وركّب له عجلات خربانة، فركب هذا النائب وطلع مع عائلته في سيارة وبسبب العجلات الفاسدة والعمل الفاسد لذاك المُصلح المسؤول انفجرت عجلات السيارة فانقلبت به وبعائلته وقُتلت كل عائلته وبقي هو مشلولاً ملعون سلسفيله، حينها عليه أن لا يشتكي على البنشري ولا ينسب هذا الحادث لفساد ذاك العامل، بل عليه أن يقول "قضاء الله وقدره" وينطم.

...

قالت: بالنسبة لمفردة المرأة والرجل والنساء والرجال، وفي المقابل هناك الذكر وهناك الأنثى هل الرجل هو الذكر، والمرأة هي الأنثى، وهل يوجد تفضيل للرجال على النساء ؟ وهل هو تفضيل الذكر على الأنثى؟

قلت: لابد لها من دراسة تفصيلية لم أقم بها بعد. لكن من حيث المبدأ، اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات. فالرجل ليس الذكر، والمرأة ليست الأنثى. والدرجة للرجال على النساء، وليست للذكور على الإناث.

...

قالت: وصلني من شخص قريب لي إنك أفضل شخص اسأله ف الأمور الدينية ف حبيت اسألك الصداقة بين الجنسين هل هي حرام؟ ام حلال؟ وشو الادلة لو سمحت؟

قلت: ماذا تقصدين بالصداقة؟ وأين تعيشين؟ ولماذا لا تتزوجين؟ وكم عمرك؟ قبل أن أجيبك إن شاء الله لابد أن أعرف هذه الأمور.

قالت: عمري ١٩ ، ما تزوجت عشان مركزة بتعليمي وما عندي الخبرة والمسؤولية الكافية اللي تخليني اشيل بيت او اربي فخبرتي قليلة بالحياة. أعيش بالامارات. أقصد بالصداقة يعني محادثات يومية نشارك فيها مواقف حياتية او يومياتنا ونتكلم عن مواضيع عميقة مثلا ونطلع مع بعض لرحلات. او مثلا اكلمه عن مشاكلي واسمع مشاكله ونتبادل الحديث والاهتمامات وغيره.

قلت: هذه الصداقة مافيها شيء.المهم أهلك يكونوا راضين حسب أعرافكم الاجتماعية.

قالت: هل في صداقة حرام؟ يعني قصدي غير الصداقة اللي بتخلي حال الشخص اسوأ.

قلت: {متخذي أخدان} و {متخذات أخدان} في القرءان هي أسماء سيئة ينبغي تجنّبها. وتعني الرجل أو المرأة الذي يجامع بدون انضباط ومن باب الصحبة للذّة الجنسية فقط. فالذي يحصل هنا هو انعدام المسؤولية في العلاقة في حال نشأ عنها أولاد، أو حتى انعدام الروابط الاجتماعية المنضبطة التي يمكن بها نقل الميراث وغيره من الحقوق بين الزوجين. هذا صنف. الصنف الآخر، حين تظني أنك في علاقة لأنك تريدين الكلام الحسن وتبادل الآراء فقط لكن الطرف الآخر لا يفكر مثلك وقصده غير قصدك، ولعله يريد منك أن تكون مجرّد "عشيقة" بالمعنى الشائع لذلك، فهذا التضارب في المقاصد سيولّد مشاكل لا حلّ لها حتماً.

وبالنسبة لموضوع الرحلات الذي ذكرتيه: انتبهي فقط تطلعي مع مَن وليكن لأهلك علم بكل شيء. الذي فهمته من لهجتك أنك غير خليجية، فانتبهي بالأخصّ من الطلوع إلى رحلة مع شباب خليجيين كالإماراتيين مثلاً، فقط من باب الحذر ولا تشكّي في الناس عموماً لكن الحذر ضروري بسبب ما نسمعه من حوادث بهذا الخصوص، وكذلك مما أعرفه عن نمط فكري شائع فيهم من احتقار الأجانب واعتبار المرأة التي تطلع مع الشباب كنوع من-معذرةً-"عاهرة" أو شبه عاهرة، فهذا مع الأسف موجود ومعروف وشائع ولو في الخلفية الذهنية لكثير من هؤلاء الأعراب، مما قد يولّد فيهم نوعاً من الانتهازية وسوء المعاملة ولو بعد حين. لعلك سمعتي أيضاً عن حوادث كثيرة من هذا القبيل، بنات طلعوا رحلة مع شباب وبنات فتم وضع مخدرات لهم واغتصابهن وأحياناً قتلهن ودفنهن في الرمال، هذه قصص واقعية أعرف شخصياً أناساً حدث مثل ذلك لمعارفهم في الرياض مثلاً. فالحذر أشدّ الحذر من مثل هذا، وكما قلت لك من قبل ليكن لأهلك علم بذلك، ولا تكوني في مكان تُتعاطى فيه المخدرات بأي شكل ولا تتساهلي في هذا إن حدث أمامك وغادري فوراً. هذه نصيحة لك سأعطي مثلها لأي امرأة من أهلي. لعلّك لم تسألي عن هذا النوع من الرحلات لكنك ذكرتيه بصيغة عامّة فأحببت تذكيرك بهذا الصنف منها.

مسألة أخرى: الغالبية العظمى من الرجال، وحين أقول "العظمى" فاقرأي "٩٩.٩٩٪ " خصوصاً في بلاد الخليج، لا يعرفون كلمة "امرأة" إلا كمرادف لكلمة "أداة جنسية"، افترضي هذا الافتراض كأصل ثم انظري في مَن تكلّمين وتصادقين. لذلك، لا يغرّك أي كلام عام وبحث عن مشاعرك واهتمام بها، فلعله نوع من الاستدراج والإغواء. فقط تأكدي من أصل العلاقة ونوعية مَن تصادقين وما هي البيئة التي تعرّفتم على بعض فيها أصلاً. قد تظنين أنتي بصدق أنك في صداقة بريئة، لكن لعل الطرف الآخر لا يفكّر كذلك ويستغل "المجانية" في العلاقة التي تقدمينها له على طبق من ذهب. فاسألي الله أن لا يقرّب منك ولا يقرّبك إلا

لأصدقاء حقاً، على النمط الذي تبحثين عنه. وخذي حذرك أيضاً وكوني دائماً على نحو تحرسين فيه نفسك لو حدث ما لا تتوقعينه، والله يحميكي.

...

قال وهو شخص لا أعرفه: اريد ان تدعي لي بالصحة والعافية تعبت جدا من الخوف والهلع.

قلت: بإذن الله خير. لكن اعمل هذين العملين: الأول قول {حسبنا الله ونعم الوكيل} كل يوم ٤٥٠ مرّة أو على الأقلّ كلّما شعرت بالخوف والهلع قلها أيضاً. العمل الثاني كثرة السجود لله، خصوصاً حين تشعر بالخوف، وعلى مدار اليوم.

...

نقل لي صاحبي قولاً لعبد الوهاب المسيري ينكر فيه على وحدة الوجود ويعتبرها كفراً بحجة أن التوحيد الإسلامي تنزيهي بينما وحدة الوجود تعتقد بتجسّد الله، وسألني عن رأيي فقلت له:

جهل مطبق. لا علاقة لوحدة الوجود بما يقوله.

وما يسمّيه التوحيد الإسلامي التنزيهي ليس كما قاله ولا ينحصر بما قاله. يبدو لي أن ماركسيته السابقة وتفكيره المادي والسطحي أثّر عليه واستمر معه حتى بعد دخوله في ميدان الفكر الإسلامي.

الله تعالى يتعالى على التنزيه وهو مُسبَّح عن التشبيه معاً، فمشرق التنزيه ومغرب التشبيه لله تعالى بالحقيقة، لذلك قال صاحب الفصوص بأن المعرفة التامة بالله هي معرفته بالتنزيه والتشبيه معاً، وهذا الحق الذي نطق به القرءان وجاءت به السنّة وعليه حال المسلمين إلى اليوم سواء شعروا أم لم يشعروا فهم يجمعون ما بينهما حتى في لغتهم اليومية وطريقة عبادتهم وشؤونهم.

قال: ممكن توضح وتفصل أكتر معلش!

قلت: التنزيه يفترض أن الله شيء والخلق شيء منفصل عنه تماماً، مما يعني أن للخلق وجوداً مستقلاً عن الله تعالى، وهذا باطل قطعاً من الأساس لأن المخلوقات أصل وجودها هو في علم الله {وهو بكل شيء عليم} وهي محاطة ما بين الهوية {هو} والعلم {عليم}، بالتالي لا وجود لها استقلالاً عن الهوية والعلم الإلهي، هذا بالنسبة لوجودها الأعلى السابق على التكوين والخلق. ثم بعد ذلك الخلق من العلم، يعني الله خلق بحسب ما في علمه، ولا يوجد شيء مع الله أو غير الله حتى يخلق "فيه" مثلاً، فالخلق قائم بالله لا غير. في المقابل، التشبيه يفترض أن الله في ذاته وأسمائه وفعله مثل وكفو للخلق، وهذا باطل قطعاً، لأن المخلوق ذاته تابعة لذات

الله، وصفته محدودة، وفعله مقيّد، بينما الله تعالى ذاته قائمة بنفسها وصفته مطلقة وفعله حر تماماً. فلا التنزيه وحده حق، ولا التشبيه وحده حق. هذا تفسير.

التفسير الآخر: كل موجود ينحلّ إلى شيئين، الوجود والماهية. الماهية هي صفته الخاصة وكيفيته وكمّيته وبقية صفاته. المعلومات والمخلوقات كلها ماهيات، وكل ماهية منها غير الأخرى، فكيف صارت كلها موجودة؟ ما الذي أعطاها الوجود؟ لا يمكن أن يكون الوجود من الماهية ذاتها، لأن الماهيات متناقضة متضاربة ومع ذلك كلها موجودة، كلها لها وجود، بالتالي الوجود ليس من الماهية. الماهيات كثيرة مختلفة، لكن الوجود واحد، وهذا الوجود الواحد هو النور الإلهي {الله نور السموات والأرض} فهو نور واحد لكل السموات والأرض باختلاف ماهياتها وصفاتها وشؤونها المختلفة المتناقضة والمتضادة. الوجود واحد، لكن الماهيات كثيرة. ومن هنا تعرف معنى التنزيه والتشبيه الحق. فالتنزيه هو معرفة أن الله تعالى هو الوجود الواحد النور المطلق، وأنه ليس ماهية من الماهيات، ولا الماهيات لها وجود أصلاً بذاتها. والتشبيه هو معرفة أن الوجود الواحد مشرق ومتجل في جميع الماهيات، وأن كل ظهور للماهيات هو ظهور للوجود الذي معها، "وهو معكم أينما كنتم".

قال: يعني لعدم وجود شيء إلا الله ، وأنه كله قائم بالله ، فبالتالي مفيش شيء حتى ينزه الله عنه، وكذالك في التسبيح عن التشبيه. فهمت انا كده صح؟

قلت: هذا تفسير ثالث. وهو قوي جداً الله يفتح عليك. لأنه لا يوجد غير الله فلا تنزيه ولا تشبيه، لأن التنزيه مبني على الغيرية مع الفرق والتشبيه مبني على الغيرية مع التكافؤ، وكلاهما مؤسس على الغيرية الباطلة في أصل الوجود.

قالت:هل نقدر نقول انه الله منزه عن الماهيات لانها ليست واحده ومتعدده او لا نقول لانها خلقت بالله ؟

أقول: كل ماهية لها شبيه ونظير وضد ونقيض، فهي فرد ينتمي إلى جنس واحد بالضرورة، لذلك الكثرة ملازمة لها وهي غارقة في ذلك. بينما الله تعالى لا شبيه ولا نظير ولا ضد ولا نقيض له ولا جنس له وهو لا ينتمي إلى جنس كجنس الألوهية أو جنس الأرباب الذي هو واحد من أفراده، فهذا قول أهل الشرك الذين يعتقدون بأن الألوهية جنس تحته أفراد كثر منهم الله وإن كان أعلاهم في اعتقاد بعضهم. فالماهية غارقة في التعدد والكثرة. لذلك الله منزّه عن الماهية.

ونعم، لأن الماهية لا تتحقق في الخلق والتكوين إلا بفعل فاعل فيها يأذن لها بذلك ويفتح لها باب التكوين "يقول له كن فيكون" فهو الذي يكون لكن بعد أمر "كن"، بينما الله تعالى حقيقته قائمة لا تعتمد على شيء في التفعيل والإخراج والتحقق بأي معنى ونوع من ذلك من حيث وجوده سبحانه، فالله تعالى منزّه عن الماهية أيضاً لهذا الوجه.

جاء القرءان بصورة غير بسيطة بل لابد من دراسته والربط ما بين آياته والتعمق فيها حتى تعرف معانيه بشمولية ووضوح، لأسباب منها أن الناس في العالَم القديم كان لديهم فراغ كثير، خلافاً للحال في هذا العصر الذي صار أكبر همّ الناس وأكثر شغلهم في تدبير أمور معيشتهم، فإن الناس في العهد القديم كانوا عموماً في فراغ، ومن أجل ملئ هذا الفراغ كان الجبابرة يشغلون الناس ببناء الأصنام والأهرام والمباني الضخمة ونحو ذلك من المشاغل المادية اليدوية، وكان إشغال العامّة بالظاهر بدون الباطن وبالمادة دون العقل هو الشغل

الشاغل للحكام الظالمين والكهنة الدجالين. فجاء الوحي بإشغال الناس بالكلام بدلاً من ذلك، الكلام الإلهي الذي هو نور العقل وفتح أبواب الآخرة للنفوس التي في الدنيا.

...

البلاء الواحد من حيث الصورة لا يعني أنه واحد من حيث المقصد والمعنى والمبدأ والغاية. فقد يُصاب ثلاثة أشخاص بنفس المرض، لكن يكون المرض بالنسبة للأول امتحان لصبره، وللثاني تذكير بفنائه، وللثالث عقوبة معجّلة من أجل كفره واستكباره {أرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم آيات مفصّلات فاستكبروا}. البلاء على الأنبياء ليس مثل البلاء على الأشقياء، والبلاء على الربانيين ليس مثل البلاء على الأحبار الصادقين، وإن كانت صورة البلاء واحدة. نمط حياتك وتفكيرك يُحدد نوعية البلاء الذي ينزل عليك من حيث المعنى وليس بالضرورة من حيث الصورة التي قد تتفق مع غيرك ممن له نمط مخالف تمام المخالفة لك.

...

الرسالة من واحد وثلاثة. الواحد هو الله تعالى، والثلاثة الآخرة والدنيا والوحي. كل ما في القرءان هو هذا لا غير.

فالقرءان كله عن الله الواحد تعالى، هويته واسمه وفعله وأمره. والشؤون الإلهية تظهر في العالَم الذي هو الآخرة العليا والدنيا، لأن النفس ما بين الدنيا والآخرة، ثم الوحي الذي هو بيان عن الآخرة نزل في الدنيا ليهدي النفس إلى سعادتها فيهما.

فالأمر كالمُثلّث الذي في مركزه نقطة واحدة، فالنقطة هي الأمر الإلهي الواحد، والضلع الأرضي للمثلث هو الدنيا، والضلع الأيمن هو الآخرة، والضلع الأيسر هو الوحي.

...

بسم الله الرحمن الرحيم

١-{يس}

خروج من الأمّية. الحروف مادّة الكلام.

٢-{والقرءان الحكيم}

كما وحّد بين اليا والسين، وحّد بين الروح والقلب. وكذلك وحّد ما بين الآخرة والأولى.

آياته محكمة، كلها مترابطة. فلابد من نفس حكيم حتى يعقل القرءان الحكيم، فتترابط إرادته مع أفكاره ومشاعره وخيالاته وحواسه وخارجه مع داخله، الحكيم فقط هو الذي يؤمن بالقرءان الحكيم.

الآخرة "هـي الحيوان" وليست مجرّد "حياة". كذلك الوحـي المحمدي هـو {القرءان} وليس مجرد قراءة أو مقروء. فالقرءان اسمه كذلك لأنه المقروء مطلقاً إلى الأبد، فهو مع صاحبه إلى الأبد في الدنيا والبرزخ والآخرة، فهو كتاب الله الجامع الواسع الذي قراءته من أعظم نعيم أصحاب الجنّة. فالقرءان كتاب الدار الآخرة التي هـي الحيوان. ونسبة القرءان إلى بقية الكتب البشرية كنسبة الدار الآخرة العليّة إلى الدنيا الفانية الدنيّة.

٣-{إنّك لمن المرسلين}

مَن تعلّم الحروف، وأحكم قراءة القرءان الحكيم وكانت قراءته على الدوام شغله الأعظم في الأرض، فهو من المُرسلين، كما أخذ الرسالة عليه أن يعطيها، صار قناة للوحي.

٤-{على صراط مستقيم}

النفس في حركة، لكن الحركة منها مستقيمة ومنها معوجة بحسب الصراط الذي تكون عليه. وربنا على {صراط مستقيم} لقوله "هذا صراط عَليّ مستقيم". الاستقامة هـي اتصال النفس بربّها مباشرة، كما قال عيسى "إن الله ربـي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم"، فعبادة رب العالمين هـي الصراط المستقيم.

٥-{تنزيل العزيز الرحيم}

لأن الصراط حركة مستمرة، فالنفس تكون في حالات متجددة باستمرار، وفي كل حالة لابد لها من نور خاص يتناسب مع هذه الحالة، وهذا النور لابد له من {تنزيل} مستمر، ولذلك قال {تنزيل} بصيغة المضارع لأنه دائم التنزيل، فأصحاب الصراط المستقيم لا يخلو أحدهم من تنزيل مع الأنفاس فما فوق ذلك بحسب درجتهم في السير وإيمانهم بربهم ودعائهم له.

{العزيز الرحيم} ميزان التنزيل، لأنه من اسم جلال هو {العزيز} واسم جمال هو {الرحيم}. فأصحاب التنزيل لابد من أن يجمعوا بين العزة والرحمة، ولذلك قال مثلاً "أعزّة على الكافرين" و "أذلّة على المؤمنين"، وقال "لله العزة ولرسوله وللمؤمنين" و"اخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة". العزّة فقط تنافي العبودية، والرحمة فقط تنافي الديانة "لا تأخذكما بهما رأفة في دين الله"، فلابد من الجمع بين العزة والرحمة، وأي تعقّل للتنزيل بخلاف ذلك فهو انحراف واعوجاج.

٦-{لتنذر قوماً ما أُنذر آباؤهم فهم غافلون}

لكل أمّة نذير، فالنفي في {ما أُنذر آباؤهم} يشير إلى عدم انتفاعهم بالإنذار وليس بعدم وصول أي إنذار لهم فإنه لا يخلو إنسان ولا جيل من إنذار بحكم "سيريكم آياته فتعرفونها" و بحكم "إن من أمّة إلا خلا فيها نذير". لكن الإنذار إما إيصال الإنذار بالتبليغ وإما الانتفاع بالإنذار الذي بلغك، مثل الهداية فقد تكون هداية دلالة "إنك لتهدي" وقد تكون هداية إيصال وتحقق بالهداية "إنك لا تهدي مَن أحببت ولكن الله يهدي مَن يشاء". هؤلاء {ما أُنذر آباؤهم} بالتالي {فهم غافلون} أي ربّوهم على الغفلة والكفر والشرك ونحو ذلك من آثار الغفلة عن الله تعالى والدار الآخرة، "نتبع ما وجدنا عليه آباءنا".

{آباؤهم} باطنياً يعني عقولهم. فالعقل أب، والجسم أم، والنفس ولد بينهما. حين لا يصل الإنذار للعقل، فيتغيّر الفكر والرؤية والجذور النظرية، فإن الغفلة تكون مصاحبة للإنسان {فهم غافلون} بصيغة الاسم {غافلون}، لأنه بمجرّد ما يزول الأثر عن الحواس والظواهر سيعود تأثير العقل بما فيه فيُنشئ الصور المناسبة له، ومن هنا مثلاً إخلاصهم لله إذا ركبوا البحر وماج بهم وعودتهم إلى الشرك إذا استقروا على البر. القوم هم الجسم وكل ما دون العقل، فلابد من إنذار العقل وتغيّره حتى ينفع الأمر.

{لتُنذر قوماً} يعني الذين لا يعقلون حقائق الدين، أوصل لهم صوراً حسّية وأفعالاً شعائرية رمزية تذكّرهم بحقائق الدين العقلية العليا، هذا أصل ما يُعطاه الناس من صور الشريعة الظاهرية. الشريعة والشعائر أمثال للقوم الذين لا يعقلون روح الوحي، حتى تساعدهم على التذكّر، لأن علامة الانتفاع بالإنذار هي الخروج من الغفلة إلى الذكر {ما أُنذر..فهم غافلون} فالذي أُنذر صار من الذاكرين. غاية النُذُر الوصول إلى الذكر المستمر.

٧-{لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون}

لا يؤمنون بالنذر غير الرسولية، لذلك سيقول بعدها "سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون"، فهذه غير تلك. هذه الأولى تبيّن أن إرسال الرسل من الناس، وهو أمر صعب عليهم وهم أحباب الله فما كان ليكلفهم هذا الجهد لولا وجود حكمة بالغة ومنفعة عظيمة تبرر جهادهم وعذابهم وقتلهم وإخراجهم وإيذائهم ونحو ذلك، هذه الأولى تبيّن أن إرسالهم لأن النذر الكونية والنفسية لم تنفع هؤلاء الـ{غافلون}. فلإتمام الحجّة، ولإيصال الرسالة للأقلّية التي بينهم والتي أحكمت الأكثرية قبضتها على دينهم وأحوالهم، أرسل الله الرسول.

{حق القول} الذي يغمض عينيه أو يضع عليها شيئاً قد لا يرى الشمس لكن لا يزال هناك أمل لأن عينه سليمة. لكن الذي يقلع عينيه من مكانها ويعمي نفسه، فقد زال الأمل بإبصاره عنه. كذلك النفس، بعضها لا يسمع ولا يعقل، ولا يريد أن يسمع ولا أن يعقل ويشغل نفسه

بقراءة الكلام الإلهي، فمع الوقت تبطل حاسّتهم الباطنية في السماع والعقل "كانوا لا يستطيعون سمعاً" ما كان ليذمهم بعدم الاستطاعة لولا أنها كانت بتسبب منهم، كالذي يقلع عينه التي خلقها الله له بفعله فهو لا يستطيع أن يبصر لكنه مذموم بذلك وليس كالذي وُلد ضريراً. "لهم أعين لا يبصرون بها" هؤلاء ذمهم بذلك، خلافاً للضرير والعاجز بغير تعمّل منه والذي قيل فيه "ليس على الأعمى حرج". فأعمى بإرادته وأعمى بغير إرادته. كذلك الحال في كل حاسّة باطنية.

{على أكثرهم} فالأقلّية سيؤمنون، وهؤلاء يكفون لتبرير الإرسال.

٨-{إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مُقمحون}

{في أعناقهم} إشارة إلى الحنجرة، يعني لا ينطقون بقول الحق. {فهي إلى الأذقان فهم مقمحون} يعني لا يستطيعون إنزال رؤوسهم سجوداً لله فلا يخرّون للأذقان سُجّداً. لذلك كان من شأن المؤمنين إذا سمعوا الآيات "يخرّون للأذقان سجّداً" و "يقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً".

٩-{وجعلنا من أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون}

{من بين أيديهم سدّاً} فلا يرون الآخرة الأبدية، وهو سدّ الموت العدمي في اعتقادهم.

{ومن خلفهم سدّاً} فلا يرون أصلهم "خلقتك من قبل ولم تك شيئاً" في الظاهر، ولا أصل نفوسهم "إنا لله". فالماضي عندهم مجهول مظلم.

{فأغشيناهم} من فوقهم، فلا يرون الله فوقهم، ولا يرون شيئاً أعلى منهم، وهذه غشاوة الأنانية الشخصية الحصرية.

تدمير كل هذه السدود في كلمة واحدة "إنا لله وإنا إليه راجعون"، فبقولك "إنا لله" أثبت أصل نفسك، وبقوله "لله" أثبت ملكية الله لنفسك فهو فوقك "وهو القاهر فوق عباده" "يخافون ربهم من فوقهم"، وبقوله "وإنا إليه راجعون" أثبت العاقبة الأبدية وانفتح لك ما هو أمامك في المستقبل.

أما بدون ذلك {فهم لا يبصرون}. ظلمة المستقبل وظلمة الماضي وظلمة الحاضر الظاهر.

١٠-{وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون}

سواء {عليهم} وليس سواء عليك، فأنت إن أنذرتهم انتفعت بإتمام تكليفك وفزت برضا ربك، وإن لم تنذرهم سيذيقك "ضعف الحياة وضعف الممات" وعواقب سيئة أخرى.

١١-{إنما تُنذر مَن اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشّره بمغفرة وأجر كريم}

{اتبع الذكر} فانتفع عقلياً. {خشي الرحمن بالغيب} انتفع إرادياً. فصلح عقله وإرادته بذلك، صلح أباه وأمّه بالوحي "إنما أُنذركم بالوحي". عقلك أبو نفسك، إرادتك أمّ نفسك، وبهما يصلح ما يتولّد منهما في نفسك وهو {فبشّره بمغفرة وأجر كريم} فالبشارة بتولّد النفس الصالحة بينهما "بشّرناه بغلام" "لأهب لك غلاماً زكياً".

١٢-{إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدّموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين}

إن قلت: أين المغفرة والأجر الكريم وقد عاش مستضعفاً وقُتل مقهوراً؟ الجواب {إنا نحن نحيي الموتى}، فالآخرة دار الجزاء الوافي حقّاً.

{وكتب ما قدّموا} عملهم. {وآثارهم} آثار العمل، كل تسلسل الآثار شعر بها أم لم يشعر.

{وكل شيء أحصيناه في إمام مبين} حجّة عليهم عند الحساب "نخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً".

...

{بديع السموات والأرض، أنّي يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، وخلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم}

{بديع} من البدع كقوله "ما كنت بدعاً من الرسل" فنفى البدعية عن رسالته لأن الإرسال سنّة إلهية فقد كان قبله رسل. لكن الله تعالى {بديع السموات والأرض} لأنه خلق الخلق بعد أن لم يكن شيئاً "خلقتك من قبل ولم تك شيئاً". بالتالي، كل مخلوق فيه إبداع خاص به من هذا الوجه، لأن إبداع الله ظهر في كل مخلوق في السموات والأرض. وهذا ردّ على الذي يزعم أن أي مخلوق في السموات والأرض يستحق العبادة أو الألوهية أو الربوبية بحجّة أنه بديع أو متفرد بنحو ما، إذ لو كان ذلك كذلك لوجبت العبادة والربوبية لكل شيء في السموات والأرض على السواء.

{أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة} الذين أخذوا مفهوم الولد أخذوه من نظرهم إلى ظاهر الطبيعة، فاعتبروا الله تعالى والداً وله ولد، لكن بنفس أصلهم هذا يُنقَض فرعهم، لأننا أيضاً رأينا أن الوالد يلد بواسطة صاحبة، أي لابد من اجتماع فاعل وقابل حتى يتولّد الأثر من القابل، فمَن {صاحبة} الله تعالى إذن؟ لابد أن تكون من جنسه أي تكون هي أيضاً إلهاً، ولابد أن يكون الولد بينهما حادثاً كائناً بعد عدم وإلا ما صحّت تسميته ولداً لا لفظاً ولا عقلاً، فلا يكون ولداً إلا بعدما يتولّد، وإذا تولّد فهو حادث، وإذا حدث فارق المتعالي جلّ وعلا الذي ما هو حادث الذات. ثم يُنظَر إلى الصاحبة فيقال: من أين جاءت الصاحبة؟ فإن قيل: كانت معه

في الأزل، فكيف صارت ذاتها "صاحبة" ولم تكن هي الإله الوالد ذاته؟ ما الفرق بينهما؟ ثم كيف قالوا بولد واحد فقط وليس أولاداً؟ كيف يُعرَف أي شيء من ذلك عقلاً أصلاً، وإذ لم يكن من الممكن معرفته عقلاً كان الإيمان بالله على علم مستحيلاً فيبطل الدين كله بذلك ويبقى قائماً على أساس مهترئ في أحسن الأحوال.

{وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم} الشيء إما أن يكون تحت الخلق أو يكون في حيطة العلم، ولا ثالث لهما. فالخلق مفعوله، والمعلوم قائم به. وكل شيء على هذا الاعتبار يساوي كل شيء آخر، لأن كل شيء موصوف بأنه مخلوق ومعلوم لله، فتساوت المخلوقات في المخلوقية وتساوت المعلومات في المعلومية، فلا شيء منها يمتاز عن أي شيء آخر من المخلوقات والمعلومات حتى يستحق وصف الألوهية بأي حال من الأحوال.

...

{يا أيها الناس، قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم، فآمنوا خيراً لكم، وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً}

كل الناس لديهم قابلية الإيمان والكفر. لذلك خاطبهم بأمر {فآمنوا} وأنذرهم {إن تكفروا} وأثبت إمكان ذلك باستعماله حرف المعنى {إن}. أمر العاجز عبث "لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها"، وإثبات الإمكان للمستحيل عبث فلولا أن الكفر ممكن في حق {الناس} لما قال {وإن تكفروا}. فالناس بالأصل ليس لهم لا إيمان ولا كفر، فهم في الوسط بينهما، فالإنسانية برزخ بين بحر الإيمان العذب الفرات وبحر الكفر الملح الأجاج.

{يا أيها الناس قد جاءكم الرسول} فلا يوجد إنسان من الناس إلا وسيجيء له الرسول، بنحو ما.

{بالحق..فآمنوا..وإن تكفروا} فالإيمان قبول الحق من الرسول، والكفر رفض الحق من الرسول. بالتالي الإيمان والكفر أسماء تتعلق بما يجيء به الرسول، خصوصاً من أمر {الحق}.

{فآمنوا خيراً لكم} لكم وليس للرسول ولا لله تعالى من باب أولى. فنفسك ميزان الأمر كله، ما كان خيراً له فخذه، وما كان شرّاً لها فدعه. خاطب الناس بما هو خير لهم، فمَن زعم أن بحث الناس عن ما هو خير لهم باطل أو قبيح فقد أبطل أساس الدعوة الربانية الرسولية.

{وإن تكفروا} لماذا قال {فإن لله ما في السموات والأرض} وقال {وكان الله عليماً حكيماً}؟ لأن الكفر مبني على سعي الناس للمُلك والعلم والحكمة، أي تعزيز الإرادة وتعزيز العقل. فالناس يبحثون عن ما يقوّي إرادتهم ويمكّنها في العالَم، ويقوّي عقولهم ويجعلهم يعرفون حقائق ومنافع الأشياء. وهم يكفرون لأنهم يحسبون أن ما جاء به الرسول سيضرّ إرادتهم ويضعفها فقيل لهم "ويزدكم قوة إلى قوتكم"، وسيضر عقولهم ويبطلها فقيل لهم "سنريهم

آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم“ و ”قل رب زدني علماً“. الخطأ في تشخيص المنفعة النفسية، إرادةً وعقلاً، هذا أصل الكفر، وليس بغض الناس للحق الذي جاء به الرسول لذاته. لو أيقن الناس بأن ما جاء به الرسول {خيراً} لهم، وسيزيد في ملكهم ويزيد في علمهم وحكمتهم، لآمنوا به بإذن الله. فحين قال لهم {فإن لله ما في السموات والأرض} دلّهم على الملك الحق، فأنتم تبحثون عن ملك سماوي أو أرضي ولذلك تكفرون، فاعلموا أنكم إنما تبحثون عن ملك في ملك الله تعالى، فإن آمنتم سيؤتيكم من ملكه كما قال ”وآتيناهم ملكاً عظيماً“ وقال ”وإذا رأيت ثَمَّ رأيت نعيماً ومُلكاً كبيراً“. وحين قال لهم {وكان الله عليماً حكيماً} دلّهم على مبدأ العلم والحكمة الحق، فأنتم تبحثون عن العلم والحكمة ولذلك تكفرون، فاعلموا أنكم إنما تبحثون عن شيء من علم الله وحكمته سبحانه، فإن آمنتم سيؤتيكم من علمه وحكمته كما قال ”واتقوا الله ويُعلّمكم الله“ وأذن لك بدعاء ”قل رب زدني علماً“ ووعدك الإجابة وقال ”يؤت الحكمة مَن يشاء ومَن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً“.

حين أضلّ الشيطان آدم عليه السلام قال له ”هل أدلّك على شجرة الخلد وملك لا يبلى“ والخلد للنفس حق ”خالدين“، والملك الذي لا يبلى حق ”ملكاً كبيراً“، فالمقصود كان صحيحاً، لكن الخطأ كان في الوسيلة، دلّه على غاية صحيحة بوسيلة قبيحة وهي عصيان شرع الله ”إنما نهاكما ربكما“. تشخيص المجرّدات وتحديد الوسائل، في هذين يضلّ الناس. أما المقاصد والمطالب فمحفوظة في فطرة كل نفس. ومن هنا ترى قوله ”أيبتغون عندهم العزة“ و ”اتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عِزّاً“ أو قول المنافقين في تولّيهم الكافرين ” نخشى أن تصيبنا دائرة“ فلا أحد يريد أن تصيبهم دائرة سوء بالمعنى العام لذلك. فلا يقال بأن الأمر سليم بحجّة سلامة مقصده ومطلوبه العام، فهذا مُسلَّم ولا داعي لإثباته. الأمر السليم هو الذي يُشخّص المجرّدات ويحدد الوسائل الصحيحة لتلك المقاصد الشريفة الفطرية.

...

يُروى أن عمر بن الخطاب أمر المسلمين بالتكتّف في الصلاة، وضع اليمنى على اليسرى، لمّا رأى المجوس يفعلون ذلك حين قدموا عليه أسارى تعظيماً واحتراماً له وقالوا بأنهم يفعلون ذلك أمام رؤساهم أو ملوكهم خضوعاً لهم، توجد رواية بهذا المعنى. فما وجه ذلك؟ الجواب:

لأن الصلاة في كتاب الله هي قراءة القرءان، فكل ما يحيط ذلك من أمور ظاهرية غير ذلك لا تغيّر جوهر الصلاة طالما أنها لم تنقض شيئاً من الأصول القرآنية. فلمّا لم يكن وضع الجسم محدداً في القرءآن بالصورة الحتمية، كأن يقول ”ضعوا اليمنى على اليسرى“ أو ” أسبلوا“ أو نحو ذلك، كان الأمر واسعاً.

لمّا علم عمر أنه سيحدث في هذه الأمّة مثل ما حدث لبني إسرائيل، ومن ذلك نشوء الملوك بينهم، وكان يعلم ذلك أيضاً من حديث الملك العضوض، حتى قال هو بنفسه عن معاوية " كسرى العرب"، أراد أن يجعل في الصلاة صورة تذكّر المسلمين بأن الخضوع ينبغي لله وحده، فأخذ صورة من عمل المجوس مع ملوكهم وجعلها في صورة جسم المصلّي علامة تذكّره بأن الخضوع كذلك ينبغي لله وحده وليس لأي إنسان ولو كان "ملكاً" كسروياً.

...

لماذا لم يكتب الصحابة السنّة كتابة مرتّبة منظّمة في ديوان جامع يجمع كل ما عند كل واحد من الصحابة؟ الجواب:

١-لأنه لا يوجد جبريل عليه السلام معهم ليعرضوا عليه كتابهم. فالنبي كتب القرءان وعرضه على جبريل مرّتين في السنّة التي توفّي فيها عليه الصلاة والسلام. لكن الصحابة لا يملكون ملكاً يسددهم ويراجعونه، ولا النبي عندهم ليعرضوا عليه ما نقلوه عنه من قوله وفعله وتقريره وما فهموه من ذلك حتى يصحح لهم إن أخطأوا ونسوا.

٢-المتغيّرات التاريخية كثيرة جدّاً، فعمل النبي معهم كان محكوماً بالظروف التي عايشوها وهم يعرفونها لأنهم داخلها، لكن إن أرادوا كتابة حديث النبي فلابد من كتابة كل تلك الظروف أيضاً حتى تتبيّن قيمة ومعاني الأحاديث في ضوء ظروفها. فالكلام يتغيّر بتغيّر ظروفه، وبدون معرفة الظروف من السهولة بمكان تحريف الكلام أو الخطأ في تفسيره وفهمه. وهذا معروف يعرفه كل واحد منّا في حياته اليومية. تقول شيئاً لمن حولك من أهلك وأصحابك ومن يعمل معك ولا تحتاج أن تفسّر له الغالبية العظمى من التفاصيل التي في ضوئها لابد من أن يفهم كلامك، لأنه يعيشها ويعرفها، لكن إذا جاء أحد من الخارج وأردت أن تشرح له معنى كلامك ذلك فلابد من شرح أمور كثيرة قد يعسر شرحها أصلاً أو يطول جدّاً وقد لا يفهم حتى بعد الشرح. لذلك كتابة السنّة بدون تاريخ السنّة وظروفها يعني عملياً تحريف السنّة.

٣-إذا كتب الصحابة ديواناً جامعاً، وتناقلته الأمّة، فإنهم بذلك سيفتحون باباً لجعل ديوانهم هذا معارضاً وموازياً للقرءان، لأن الناس سيقولون "ديوان السنّة بكتابة الصحابة" فسيُقبلون عليه ويتركون القرءان أو يشتغلون عنه. هذه ليست فرضية مجرّدة، إذا كان الواقع الحالي وبالرغم من عدم وجود مثل هذا الديوان المعتمد هو بالضبط الإعراض عن القرءان أو الاشتغال عنه أو عدم تحكيمه عامّة بسبب إقبال الناس على المرويات وما تفرع عنها وأحاط بها. لكن لمّا تأخّر تدوين السنّة، وأحاط بها الشك، فحينها يأخذ ما نُقل منها مكانه تحت القرءان وفي الحدود المناسبة له، فيكون دليل تنبيه لا دليل تشريع مطلق، ويكون التشريع المطلق للقرءان. ويدلّك على خطورة هذا الأمر أنه بالرغم من كل الثمانين مشكلة في المرويات،

صار الفقه والاعتقاد وكل شيء آخر في الدين عموماً يؤخذ عند عموم المسلمين من المرويات وليس من الآيات. فمَرض الإعراض عن آيات الله عُضال في البشرية، فيميل البشر إلى ما يناسب بشريتهم وليس ما يناسب روحانيتهم، ولذلك مالوا إلى مرويات الرجال بدلاً من كلمات الكبير المتعال.

...

{بسم} {الحمد} {رب} {نعبد} {أنعمت} خمس كلمات في الفاتحة ليس فيها ألف ولا واو ولا يا، أي ليس فيها حرف مدّ. والمدّ حتى يبقى مجال لعقلك للنظر المطوّل في معنى الكلمة. فهذه الخمس كلمات المرور عليها أسرع نسبياً. لماذا؟

أما {بسم} فحتى لا تستغرق في توهم علاقتك باسم الله وتفتخر بها، فأنت أقلّ من أن تتصل بالله، ومع ذلك وصلك به برحمته.

وأما {الحمد} فحتى لا تتوهم أنك عرفت كمالات الله لتحمده بها، وإنما عرفت ما يناسب قدرك لا ما يناسب قدره تعالى.

وأما {رب} فحتى لا تحسب أنك عظّمت ربوبيته وأعطيتها حقّها من العبادة.

وأما {نعبد} فحتى لا تظن أن لعبادتك وزناً لولا فضله.

وأما {أنعمت} فلأنك لا تستطيع إحصاء نعمته "وإن تعدّوا نعمت الله لا تحصوها".

هذه الكلمات الخمس كلها من قول المؤمنين وتدل على قول المؤمنين، خلافاً لكلمات {المغضوب عليهم} و {الضالين} التي تشير إلى أصحاب النار. فأصحاب الجنّة يقولون ويعرفون حدود ما يقولون ولا يستكبرون ولا يتطاولون.

...

يحتجّ علينا أصحاب الروايات لأننا نُحكّم القرءان فيما بيننا وبين الروايات، وفيما بيننا وبين ما يُنقَل حتى عن بعض الصحابة، وفي أخذنا بما دلّ عليه ظاهر القرءان في الأمور ويأتون بأمور لا يدلّ عليها ظاهر القرءان ولا ما يُفهَم من كلماته، وبانتقاد مضمون الرواية بالعقل. أقول: هذه رواية تردّ عليكم ذلك كلّه.

في سنن الترمذي، عن زِر بن حبيش (وهو تابعي) قال {قلت لحذيفة بن اليمان: أصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت المقدس؟ قال: لا. قلت: بلى. قال: أنت تقول ذلك يا أصلع بمَ تقول ذلك؟ قلت: بالقرآن بيني وبينك القرآن. فقال حذيفة: مَن احتجّ بالقرآن فقد أفلح - قال سفيان: يقول قد احتج وربما قال: قد فَلَج- فقال "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا" قال: أفتراه صلّى فيه؟ قلتُ: لا. قال: لو صلّى فيه لكُتبت

عليكم الصلاة فيه كما كُتبت الصلاة في المسجد الحرام. قال حذيفة: قد أُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدابّة طويلة الظَّهر ممدودة هكذا خطوه مدّ بصره فما زايلا ظهر البراق حتى رأيا الجنّة والنار ووعد الآخرة أجمع ثم رجعا عودهما على بدئهما. قال: ويتحدّثون أنه ربطه، لِمَ؟ أيفرّ منه وإنما سخّره له عالِم الغيب والشهادة}

أقول: زر بن حبيش التابعي المشهور بعلمه بالقرءان والحديث النبوي وباللغة العربية، سأل حذيفة بن اليمان الغني عن التعريف، عن صلاة رسول الله في ما سمّاه "بيت المقدس"، فأنكر حذيفة ذلك. هنا أوّل نقطة: صلاة النبي بالأنبياء في بيت المقدس هي مما تناقلته الروايات وشاع في الأمّة لكن مع ذلك أنكره حذيفة، ولم يقل "لا أدري" لكنه أنكره صراحةً {لا}. الذي يهمّنا هنا أن ابن حبيش ردّ على الصحابي الجليل حذيفة بقول {بلى}، فكيف يردّ على صحابي لا ينطق بمثل ذلك إلا بخبر وهذا أمر لا يُعرَف إلا بالخبر، أليست هذه القاعدة التي يذكرها أصحاب المذاهب الروائية عادةً، كيف ردّ عليه؟ الجواب {بالقرآن} وقال للصحابي {بيني وبينك القرآن}، وهذا بالضبط ما نقوله نحن لمن يأتون بالروايات عموماً، بيننا وبينكم القرءان.

فماذا قال له حذيفة حين قال له {بيني وبينك القرآن}؟ هل قال له "ومَن أنت حتى تحتج بالقرآن"؟ أو "أنا صحابي وقولي حجّة وقد أخبرتك ما عرفته من النبي"؟ أو "أنا أعلم بالقرآن منك إذ أنت تابعي وأنا صحابي"؟ أم ماذا قال له حذيفة بن اليمان؟ قال {مَن احتجّ بالقرآن فقد أفلح} وفي رواية {مَن احتج بالقرآن فقد فَلَج}، يعني أفلح في الآخرة وفلج خصمه بالحجّة الدامغة. فالقرآن نافع في الآخرة نافع في المسائل العلمية الدينية على السواء.

ثم احتجّ ابن حبيش بآية الإسراء {سبحان الذي أسرى بعبده} فردّ عليه حذيفة بما ورد في ظاهر هذه الآية حين قال له {أفتراه صلّى فيه} يعني هل نصّت الآية على صلاة النبي في المسجد الأقصا؟ الجواب المعروف من قراءة الآية هو ما أجاب بن ابن حبيش {لا}. هنا وقفات.

الأولى، مَن المقصود بعبده في الآية؟ إذا نظرنا في القرءان سنجد أن كلمة "عبده" وردت في سبع مواضع، كلها صريحة في الدلالة على أن المقصود بها هو نبينا محمد باستثناء واحدة نصّت على أنه زكريا "ذكر رحمت ربك عبده زكريا" فلمّا أراد تخصيص العبد ذكر اسمه، لكن لمّا أطلقه فالمفهوم هو نبينا محمد متلقّي القرءان، كما في قوله "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا"، وقوله "تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا"، وقوله "أليس بكافٍ عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومَن يضلل الله فما له من هاد" وهنا عبده تحتمل الإطلاق أي كل مَن كان عبداً لله كفاه لكنه قيّدها فوراً بعدها بمخاطبة النبي بكاف الخطاب من "ويخوفونك"، وقوله "فأوحى إلى عبده ما أوحى" وهي في النبي من أول السورة فما بعدها "ما ضلّ صاحبكم" و "أفتمارونه على ما يرى"، وقوله "هو الذي يُنزّل

على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤوف رحيم"، وآية الإسراء محل الدراسة. بالتالي، ادعاء البعض بأن {سبحان الذي أسرى بعبده} لا تدل على نبينا محمد ادعاء لا حجّة له من القرءان قاطعة، بل الأقوى أنها فيه عليه الصلاة والسلام. وأما القول بأن يعقوب هو المقصود لأنه "إسرائيل" وهو من الإسراء، فوجه محتمل لكنه لا يقاوم الحجج السابقة، وكذلك أسرى موسى بأمر من الله "أسر بعبادي" فإن كان كل مَن أسرى فهو إسرائيل فموسى إسرائيل أيضاً، وقد ذكر موسى باسمه في الآية الثانية من سورة الإسراء " وآتينا موسى الكتاب"، ولم ينصّ الله على إسراء يعقوب في القرءان.

الثانية، الآية لم تنصّ أيضاً على "بيت المقدس"، لكنها قالت {المسجد الأقصا}، فإذا كان حذيفة يحتجّ بما ورد في لفظ الآية، فهذا ينعكس على كل مَن يدعي بأن المسجد الأقصا هو بيت المقدس لأن الآية لم تنصّ على بيت المقدس أيضاً. فيمكن نفي علاقة المسجد الأقصا ببيت المقدس بنفس أصل حجّة حذيفة في نفي صلاة النبي فيه وهو خلو لفظ الآية من ذكره.

ثم ذكر حذيفة البراق ورؤية الجنّة والنار ووعد الآخرة أجمع، وهذا أيضاً تفصيل لم تنصّ عليه الآية ولا أي آية في القرءان كله، فيمكن ردّه أو التوقف فيه بنفس حجّة حذيفة في نفي صلاة النبي في بيت المقدس. الآية فيها {لنريه من آياتنا}، لكنها لم تذكر ما هي هذه الآيات، ولم تذكر براقاً بل قالت {أسرى بعبده}.

ثم انتقد حذيفة ما يتحدّث به أناس أشار إليهم لكنه نكّرهم {ويتحدّثون أنه ربطه} فأوّلاً مَن هؤلاء الذين {يتحدثون}؟ لا يمكن أن يكونوا إلا من الصحابة من جيل حذيفة، وإلا فإن كانوا ممن لم يسمع من النبي شيئاً لأنكر حذيفة حديثهم من جذره بالقول "وما أدراهم ولم يسمعوا من النبي شيئاً"، فلابد أنه يقصد صحابة أو ممن يدعي أنه سمع من صحابي ونقل عنهم، وهو الذين يدعون أن النبي ربط البراق حين وصل بيت المقدس. ثم لاحظ كيف انتقد حذيفة الصحابي الجليل العريق في الدين حديث ربط النبي البراق وهو خبر "لا مدخل للعقل فيه" كما يحلو للبعض أن يقول، قال حذيفة {لِمَ} استفهام، وسياقه يدل على الإنكار كما يشهد له ما بعده، سؤال {لِمَ} هذا من حذيفة يهدم كل ما يزعمه المُقلّدة من أصحاب الروايات من عدم جواز سؤال {لم} حين تسمع الرواية "الصحيحة" أو الرواية عموماً ويعممون ذلك في الأمّة حتى صار سؤال {لم} مستنكراً عندهم بالكلّية ويشمئزون منه ومن قائله، ولا أدري ماذا سيفعلون لو سمعوه من حذيفة (وهذه رواية حسنة الإسناد حتى عند السلفية كما عبّر عنه صاحب جامع الأصول التسعة في تعليقه وهو سلفي ممن يرى قيمة لأحكام الألباني على المرويات). ولا يكفي قول حذيفة {لم} حتى أتبعه بانتقاد من صنف آخر وهو {أيفرّ منه وإنما سخّره له عالم الغيب والشهادة}، هذا انتقاد ليس من صنف نقد الخبر بخبر آخر، ولا من

صنف نقد الخبر بتعارضه مع القرءان، لكنه من قبيل الفكر العقلي الذي ينظر إلى التلاؤم ما بين الأفكار المختلفة، لأن فكرة {سخّره له عالم الغيب والشهادة} وفكرة {ربطه} بينهما تنافر، على اعتبار أن ربط الدابة يكون خوفاً من فرارها من صاحبها، فلمّا كانت عِلّة الربط غير متوفرة هنا لأنها دابّة من تسخير عالم الغيب والشهادة، فبطل المعلول ببطلان علّته، ولذلك قال {لِمَ؟} يعني ما علّة الربط؟ {أيفرّ منه؟} هذه العلّة التي نعقلها نحن من ربط الدابة. أقول: هذا شرح انتقاد حذيفة، لكن يمكن الردّ عليه بإيجاد أي علّة أخرى للربط غير علّة خوف الفرار، أياً كانت ظاهرية أو باطنية أو تعليمية أو إظهاراً لأحكام العادة المتسلّطة على الإنسان وأن النبي لم يفارق البشرية بالإسراء فحكمت عليه عادته بربط الدابة لتبيان أن عقله الإنساني لم يتغيّر بالإسراء، أو أي اعتبار آخر. لكن حذيفة لم يقم بأي شيء من ذلك ولم يحتمل غير احتمالاً واحداً ومع ذلك أنكر ربط البراق بذلك. فهل كفر؟ هل حكّم عقله في الرواية فقدّم العقل على النقل فكان من المبتدعة؟ فسّرها كما تشاء لن تجد شيئاً يناسب دعاوى أصحاب الروايات مما يشيعونه بين الناس لإبطال عقولهم والتفريق ما بينهم وبين كتاب ربهم. هذه الرواية كافية لإبطال طريقتهم في التعامل مع الروايات وعلاقتها بالعقل والقرءان. الدين قام على العقل، وينبني بالقرءان، فكل ما جاء بعد ذلك لابد أن يشهد له العقل والقرءان. وهذا شاهد من الرواية لمن أضلّته الرواية عن نور العقل والآية. و"شهد شاهد من أهلها" والحمد لله رب العالمين.

....تم والحمد لله